

السلسلة الكلامية

35

تأسيس إنليس

الجزء الثاني

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع

2020

النّاشر: شركة كيرانيس للطباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة التّيتونة - عمارة عدد 3 - شقّة عدد 2 - المنار 2 - أريانة
الهاتف: +216 71886914
الفاكس: +216 71886872
العنوان الإلكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرف النّاشر: 9938-02
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك : 9-019-02-9938-978
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب بمطبعة كيرانيس-المنار 2

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطباعة والنّشر والتّوزيع

تلبیس ابلیس

الجزء الثاني

الباب السادس
في ذكر تلبيس إبليس
على العلماء في فنون العلم

قال المصنّف: إعلم أن إبليس يدخل على النَّاس في التلبّيس من طرق منها ظاهر الأمر ولكن يغلب الإنسان في إثارة هواه فيغمض على علم يذللّه ومنها غامض وهو الذي يخفي على كثير من العلماء ونحن نشير إلى فنون من تلبّيسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم.

فمن ذلك أنّ أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذّة وتحصيلها فيفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والأقراء بما ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات فرمما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعرف ما يفسد الصلّاة وربما حمله حبّ التصدّر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء يأخذ عنهم العلم¹ ولو تفكّروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التّشاغل بالمهم من علوم الشّرع ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهمّ.

¹ وفي نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترأ بعين الجهل على أن يجيب في فتوى بما يقع له وإن لم يجز في مذهبه.

قال الحسن البصري¹: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به ومن ذلك أن أحدهم يقرأ في محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه ومنهم من يجمع السجدة والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للحنطة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويربهم إبليس أن في هذا إعزازاً للإسلام وهذا تلبيس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع.

ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الأمر في ذلك قريب لكونه يروى القراءات ويراهما فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطبق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان وقد كان بعض المحققين يقول ينبغي أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواماً من القراء يتبارون بكثرة

¹ هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد. وُلد في المدينة سنة 21 هـ.م. وانتقل إلى البصرة. وكان من خيار التابعين. يُقال إنّه عرف سبعين من رجال موقعة بدر. وروى عن أنس ابن مالك -رضي الله عنه-، وكان أخذ عن الصحابي الجليل سمرة بطريق الكتابة. توفي في البصرة سنة 110 هـ.م. وقد نسب ابن النديم إليه من الكتب: تفسير القرآن، وكتاب إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية.

حول ترجمته راجع: طبقات ابن سعد، ج7/ص156-178؛ المعارف لابن قتيبة، ص440-441؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج2/ص263-270؛ ميزان الاعتدال، ج1/ص527؛ مروج الذهب، ج3/ص203؛ الفهرست، ص202؛ وفيات الأعيان، ج1/ص160-161؛ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ج1/ص235؛ الأعلام للزركلي، ج2/ص242؛ تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين.

القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقوم شخصاً ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات فإن قصر عيب وإن أتم مدح وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السعاة ويربهم إبليس أن في كثرة التلاوة ثواباً.

وهذا من تلبسه لأنّ القراءة ينبغي أن تكون لله -تعالى- لا للتّحسين بها وينبغي أن تكون على تمهّل وقال -عزّ وجلّ-: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾¹ وقال -عزّ وجلّ-: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾².

ومن ذلك: أنّ جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان وقد كانت إلى حدّ قريب وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو علي الحسين بن سعد الهمداني نا أبو بكر أحمد بن علي بن لال ثنا الفضل بن الفضل ثنا السياحي ثنا الربيع بن سليمان³ قال قال الشافعي أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت.

قال المصنّف: وقلت إنّما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون ببسرا فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوما من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظرء وربّما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله -عليه الصلّاة والسّلام-: "لو جعل القرآن في إهاب ما احترق" وذلك من تلبس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب

¹ سورة الإسراء (7)، الآية 106.

² سورة المزمل (73)، الآية 4.

³ هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء، المؤدّن المصري، صاحب الإمام الشافعي. وهو الذي روى أكثر كتبه. وقال الشافعي في حقه: "الربيع راويتي". والربيع هو آخر من روى عن الشافعي بمصر. وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة 270 هـ. بمصر، ودُفن بالقرافة.

حول ترجمته راجع: وقّيات الأعيان، ج2/ص291-292؛ طبقات الشّيرازي، ص98؛ طبقات السبكي، ج1/ص259؛ تهذيب التهذيب، ج3/ص245.

من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارىء لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر قال الله -عز وجل-: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾¹ وقال في أزواج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾².

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن ابن زرقويه نا إسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش: إنّ في جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كلّ يوم سبع مرات وإنّ في الوادي لجبا يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الحب كلّ يوم سبع مرّات وإنّ في الحبّ لحيّة يتعوذ الحبّ والوادي وجهنم من تلك الحيّة كلّ يوم سبع مرّات يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون أيّ ربّ يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فقبل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم. قال المصنّف: فلنقتصر على هذا الأتمودج فيما يتعلّق بالقراء.

¹ سورة الزعد (13)، الآية 19.

² سورة الأحزاب (33)، الآية 30.

من ذلك أنّ قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين:

1 - قسم قصدوا حفظ الشّرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلاّ أنّ إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عمّا هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتّفقه في الحديث.

فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم.

فالجواب أنّ أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقّه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأمرين.

فأمّا في هذا الزّمان فإن طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب وإنّما الطّرق تختلف فقلّ أن يمكن أحدًا أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفكّهة الذين يتردّدون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطّاعنون على المحدثين فقالوا زوامل أسفار لا يدرون ما معهم فان أفلح أحدهم ونظر في حديثه فرّبما عمل بمحدث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك.

وليس بالمراد من الحديث كما روينا أنّ بعض المحدثين روي عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه نهي أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الجبالى من السبايا.

قال الخطابي: وكان بعض مشايخنا يروي الحديث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نهي عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة بإسكان اللام قال: وأخبرني أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنما هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة فقال قد فرجت عليّ وكان من الصالحين.

وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البوار نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال سمعت اليرقاني يقول قال أبو بكر الأبهري الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد فجاءته امرأة فقالت أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس فقال يحيى ويحك كيف سقطت الدجاجة إلى البئر قالت لم تكن البئر مغطاة فقال يحيى ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء قال الأبهري فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر.

قال المصنّف: وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من

يصير بما يفتي به ضحكة فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله - سبحانه وتعالى -.

وأنبأنا محمد بن أبي منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا أحمد بن محمد العتيقي نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن إسحاق الحلاب ثنا إبراهيم الحربي قال بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له حلفت بصدقة إزاري فقال لها بكم اشترتيه قالت باثنين وعشرين درهما قال اذهبي فصومي اثنين وعشرين يوما فلما مرت جعل يقول آه آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهر.

قال المصنف: قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى يمثل هذا التخليط واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري - سبحانه - على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم.

وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإثارة ما ليس بهم على المهم من تلبس إبليس.

القسم الثاني: قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحا ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلانا ولي من الأسانيد ما ليس لغيري وعندني أحاديث ليست عند غيري وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطئ

دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته حدثني فلان وفلان بالزقة ويوهم الناس أنّها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثني فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث وكان يقول حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبته في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمان الطلب.

قال المصنّف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرسالة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذّ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب.

ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلبا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد.

ودليل مقصد خبث هؤلاء: سكوتهم عن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان عليّ بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفا ثم يقول وفي حديث الشيخ ما فيه أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سألت حارثا المحاسبي¹ عن الغيبة فقال احذرهما فانها

¹ هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، البصري الأصل؛ الزاهد. أحد رجال الحقيقة. وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن. وله من الكتب: كتاب الزعامة، كتاب شرح المعرفة وكتاب المسائل

شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه في الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرهما وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية.

وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالي فلانا وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته.

في التَّهْدِ، وكتاب آداب النَّفوس والْبِعْث والنَّشُور. قال السَّمْعَانِي: "وَعُرِفَ بِهَذِهِ التَّسْبَةِ [أَيِ المَحَاسِبِي] لِأَنَّهُ كَانَ يَحَاسِبُ نَفْسَهُ". وَقَالَ: "كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَكْرَهُهُ لِنَظَرِهِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ وَتَصْنِيفِهِ فِيهِ، وَهَجَرَهُ، فَاسْتَخْفَى مِنَ العَامَّةِ. فَلَمَّا مَاتَ لَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ نَفَرًا". وَتَوَفِّيَ فِي سَنَةِ 234 هـ.

حول ترجمته راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/ص57-58؛ تحذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج2/ص134؛ صفة الصنفوة لابن الجوزي، ج2/ص207؛ طبقات السلمي، ص56؛ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ج10/ص73؛ ميزان الاعتدال، ج1/ص430؛ تاريخ بغداد، ج8/ص211؛ طبقات السبكي، ج2/ص37.

وأما منبع الغيبة من القراء والنسك فمن طريق التعجب بيدي عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له.

وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبدت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضا أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكرهتها فقال -عز وجل-: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾¹.

وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك أخبار كثيرة.

ومن تلبس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويح أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل.

ومنهم من يروي عن الضعيف والكذاب فينفي اسمه فرمما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروي عنه ثقة فنسبه إلى جده أو أقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردّ الرواية عنه أو يكون المروي عنه في مرتبة الراوي

¹ سورة الحجرات (49)، الآية 12.

فـيستـحي الـرّـاوي من ذكره فـهـذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط
أن يكون المروي عنه ثقة والله الموفق.

قال المصنّف: كان الفقهاء في قديم الزّمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفيننا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضا وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها ومحدث لا يدري أصحح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلّة التفاته إلى معرفة النقل.

وإنّما الفقه: استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري أصحح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السّفَر الطّويل والتّعب الكثير حتّى تعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصّحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرّة عن أن يطالعوا علم الحديث حتّى أنّي رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في الصّحاح لا يجوز أن يكون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال هذا ورأيتهم يحتج في مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الإسلام .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء:

أنّ جلّ اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشّرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه

الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإّما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع
فيها الكلام فيتقدّم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر فهم أحدهم
بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلبا للمفاجرات والمباهاة وربما لم
يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى.

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة ليتسع لهم المجال في النظر وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الإستدلال بالحديث ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جلّ اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه.

ومعلوم أن القلوب لا تحشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير وهي محتاجة إلى التذكّار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنّها لا تنهض بكل المطلوب ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذي تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم فإذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم.

وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب إلي من مائة قضية من قضايا شريح¹ وأما قال هذا لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب ومن ذلك أنهم اقتصروا

¹ القاضي المسلم الفقيه المحدث الشاعر شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، وهو قاضي الكوفة لستين سنة، قال فيه علي بن أبي طالب هو أفضى العرب عاش مائة وثمان سنين، وتوفي سنة 78 هجرية، وقيل ثمانين وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة. دخل في الإسلام في حياة النبي محمد بن عبد الله وقيل لم يحظى بالصحبة، وقيل حظي بها حيث كان باليمن فيعدّ من التابعين، وانتقل من اليمن زمن الصديق، وحديث عن كبار الصحابة. ومن المحدثون عنه: ابن سيرين، والشعبي والنخعي، وقيس بن أبي حازم، وتميم بن سلمة. ووصية عمر بن الخطاب له في القضاء: أوصاه في رسالة جاء فيها: "إذا أتاك أمر في كتاب الله، فأقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأقض به، فإن لم يكن فيهما فأقض بما قضى به أئمة الهدى، فإن لم يكن فأنت بالخيار: إن شئت تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرني ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك". وولاه

على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث فلا يدري وهذا عين فأين الأنفة من التقصير.

ومن ذلك أنّ المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحقّ وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأنّ المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها فقيل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذي يظهر لي فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فادكروه فان المعترض لا يلزمي ذكر ذلك وقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدئ من الجدل بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه وربما اجتهد في ردّه مع علمه أنّه الحقّ وهذا من أقبح القبيح لأنّ المناظرة إنما وضعت لبيان الحق.

وقد قال الشافعي -رحمه الله- ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني ولا قبلها إلا هبته وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حبّ الرياسة. فإذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم تكلمت مع فلان فما قال شيئاً ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة. ومن ذلك أنّ إبليس ليس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فإن ذكر لهم محدث قالوا ذلك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فإن ذكر لهم

عمر بن الخطّاب قضاء الكوفة على مائة درهم وظلّ قاضيها ستين سنة، ووفد زمن معاوية بن أبي سفيان إلى دمشق. ولما عزله عبد الله بن الزبير عن القضاء أعاده الحجاج بن يوسف الثقفي بعدها، وتولّى قضاء البصرة عام واحد.

كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى.

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

قال يعقوب: وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضًا يقول أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما منهم من يحدث حديثًا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا.

قال المصنّف: وقد روينا عن إبراهيم النخعي أن رجلا سأله عن مسألة فقال ما وجدت من تسأله غيري وعن مالك بن أنس -رضي الله عنه- قال ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخًا هل ترون لي أن أفتي فقالوا نعم فقبل له فلو نهوك قال لو نهوني انتهيت وقال رجل لأحمد بن حنبل: إني حلفت ولا أدري كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك.

قال المصنّف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله -عزَّ وجلَّ- وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب.

ومن تلبس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

- الأول: الأمير يقول: لولا أنني على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي.

- والثاني: العاقبي أنه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلانا الفقيه لا يبرح عنده.

- والثالث: الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول انما ندخل لنشفع في مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان.

ومن تلبس إبليس عليه في أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وان كانت من شبهة فتركها أولى وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاقه في إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح.

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس.

وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مدهنتهم وترك الانكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري -رضي الله عنه- يقول ما أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم في الفتاوي والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم وبذلك على أنهم قصدوا بالعلوم أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج في الأصول فأظهر الناس علم الكلام ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمال الناس إلى الجدل ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصص وقل الفقهاء.

ومن تلبس إبليس على الفقهاء أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهي في العلم فلا يبقى له في الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيدا او مدرسا فإن شغله دائم ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفكحة من الانبساط في المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصي.

وسبب إنبساط هؤلاء مختلف فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو لينظر ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك الكبر والعجب وإنما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم في بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد. ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنه عالم وفقه ومفت والعلم يدفع عن أربابه. وهيهات! فإن العلم أولى أن يحاجه ويضعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء. وقد قال الحسن البصري إنما الفقيه من يخشى الله - عز وجل -.

قال ابن عقيل: رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وحواتم ذهب فقلت له ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك إن كنت مسلما إن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك البسك ما يسخط الشرع فقد أشتته بنفسك وهل خلع السلطان ساعة لنهي الرحمن يا مسكين خلع عليك السلطان فأنخلعت به من الايمان وقد كان ينبغي أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتكم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك.

ومن تلبسه عليهم أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فيه القلب ويخشع والقصاص لا يذمّون من حيث هذا الاسم لأن الله - عز وجل - قال: ﴿لَنْ نَقْصُ عَليْكَ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ¹ وقال: ﴿فَأَفْصُصِ الْقَصَصَ﴾² وإنما ذمّ القصص لأنّ الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقا ويوجب وعظما فهو ممدوح وقد كان أحمد بن حنبل يقول ما أحوج الناس إلى قاص صدوق.

¹ سورة يوسف (12)، الآية 3.

² سورة الأعراف (7)، الآية 176.

قال المصنّف: كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء وقد حضر مجلس عبيد بن عمير¹ عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص ثم خسست هذه الصنّاعة فتعرّض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع في هذا الفن.

وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب القصاص المذكرين إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك أن قوما منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشرّ.

وهذا افتيات منهم على الشريعة، لأنّها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تمة ثم نسوا قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

¹ عبيد بن عمير ابن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وطائفة. حدّث عنه ابنه عبد الله بن عبيد وعطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وعبد العزيز بن رفيع وأبو الزبير وجماعة. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة. وكان يذكّر الناس، فيحضر ابن عمر -رضي الله عنهما- مجلسه. روى حماد بن سلمة عن ثابت قال أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب أبو بكر بن عياش عن عبد الملك عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد ابن عمير على عائشة فقالت له خفف فإن الذكر ثقيل تعني إذا وعظت وقال عبد الواحد بن أيمن رأيت عبيد بن عمير وله جملة إلى قفاه ولحيته صفراء قلت هو من خضاب السنة. توفّي قبل ابن عمر بأيام يسيرة، وقيل: توفّي في سنة أربع وسبعين. وكان ابنه عبد الله من علماء المكيين. وكان حفيده محمد بن عبد الله المعروف بالمحرم ضعيفا، حدّث عن عطاء وجماعة لحقه داود بن عمرو الضبي. فابنه عبد الله بن عبيد يكتي أبا هاشم ما روى له البخاري شيئا. يروي عن عائشة أيضا وابن عباس وابن عمر وعنه ابن جريح وجريز بن حازم والأوزاعي. وثقه أبو حاتم. توفّي سنة ثلاث عشرة ومائة بمكة.

ومن ذلك أتهم تلمّحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب، فنوعوا فيه الكلام، فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإثارة إلى محبة الله - عزّ وجلّ - ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل.

ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذبا فقد خسر الآخرة ومن كان صادقا لم يسلم صدقه من رياء يخالطه ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التي قد أخرجوها اليوم مشابحة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق يديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما في النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيبا ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز ومنهم من يجري في مثل تلك الحالة التي شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجري لهم من البلاء ويذكر الغربة.

ومن مات غريبا فيبكي بما النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع ومنهم من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فليس عليه إبليس إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجليل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب.

فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الريا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها. هيهات! هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فرما تاب

الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوي ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفاهرة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله.

وقد يكون الواعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أنّ منهم من شرب الرئاسة في قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق.

ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمحنون به الأمراء والظلمة والآخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكي التّسوة ولا يبحث على الصبر.

وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ
فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول
إنك تلتذ بما تورده وتجد بذلك سد باب الخير وعن ثابت قال كان الحسن في مجلس فقييل
للعلاء تكلم فقال أو هناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته قال ثابت فأعجبي قال ثم
تكلم الحسن واننا هناك يودّ الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحدا بخبر ولم ينهه عن
شرّ.

قال المصنّف: قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي مرادة لغيرها فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تركيه نفسه وصلاح قلبه ومع هذا ففيهم كبر عظيم.

وقد خيل لهم إبليس أنكم علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبما يعرف معنى القرآن العزيز.

ولعمري إنّ هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بمهمّ مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل.

ومما ظنّوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال قيل لفقهاء العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال نعم قال والإشهاد أن يمضي الرجل. قال المصنّف: وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول المستفتي ما تقول في وطء الرجل زوجته في قرئها فان القرء يقع عند اللغويين على

الاطهار وعلى الحيض فيقول الفقيه يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ وكذلك لو قال السائل هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر لم يجوز إطلاق الجواب فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل في المحتملات والثاني أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل.

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهليّة ولم يجد الطبع صاددا عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى فانبت شرع البطالة يعبت فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظرا في مطعم فان النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره. وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري قال كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي فيقول ما أحببت فأقول له أن تعطيني عشرين ألف دينار وكانت غاية أمنيّتي فما مضت إلاّ سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له وقد صرت نديمه فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنذر فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا

يحتاج إلى إذكّار لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق فقال لي إنه المعتضد¹ ولولاه ما تعاضمني دفع ذلك إليك في مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمع بأخذه متفرقا فقلت إفعل فقال إجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستعجل عليها ولا تمتنع من مسائلي شيئا تخاطب فيه صحيحا كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرّض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها وربما قال لي كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوي كذا وكذا فاستزد فراجع القوم.

ولا أزال أماكسهم ويزيدوني حتى أبلغ الحد الذي رسمه قال فعرضت عليه شيئا عظيما فحصل عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مدة مديدة فقال لي بعد شهر يا أبا إسحاق حصل مال النذر فقلت لا فسكت وكنت أعرّض ثم يسألني في كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندي ضعف المال وسألني يوما فاستحييت من

¹ هو أحمد بن طلحة، أمير المؤمنين، المعتضد بالله أبو العباس ابن وليّ العهد أبي أحمد الموقّق بالله ابن المتوكّل. وُلد في ذي الحجّة سنة 242 هـ، أيام جدّه؛ وتوفّي في رجب سنة 289 هـ، وكان قد استُخلف بعد عمّه المعتمد سنة 279 هـ. وكان شجاعاً مهيباً، وافر العقل، ظاهر الجبروت، شديد الوطأة، من أفراد خلفاء بني العباس. وكان يبخل ويجمع المال، وفي أيامه سكنت الفتن لعظم هيئته، وكان يُسمّى السّفاح الثاني، لأنّه جدّد ملك بني العباس. وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرّخاء؛ وأسقط المكوس، ونشر العدل. إلّا أنّ مزاجه قد تعيّر في آخر أيامه. ولما مات المعتضد من مرض حلّ به بويع ابنه المكتفي، فكانت ولايته تسع سنين وتسعة أشهر وأياماً. وهو أحد من وليّ الخلافة ولم يكن أبوه خليفة، وهم: السّفاح والمنصور والمستعين والمعتضد.

حول ترجمته راجع: فوات الوقيّات، ج 1/ص 72-73؛ الرّوحي، ص 59؛ الفخري، ص 231؛ تاريخ الخلفاء، ص 398؛ المنتظم، ج 6/ص 34؛ الواقي، ج 6/ص 328؛ التّجوم الزّاهرة، ج 3/ص 126.

الكذب المتصل فقلت قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عني فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك.

قال: ثم أخذ الدواة ووقع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صله فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئا ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمي فأوما إلي هات ما معك ليستدعي مني الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال يا سبحان الله أتراي كنت أقطع عنك شيئا قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رتبك أعرض علي رسمك وخذ بلا حساب فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئا إلى أن مات وقد تأثلت مالي هذا.

قال المصنّف: أنظروا ما يصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر في معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جرى له لم يجوز شرعا ما حكاه وتبجح به فان إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره.

قال المصنّف: وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللکم فتراهم يهيمنون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوّه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة.

وترى خلقا من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب في المدح خارجا عن الحد ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك. ويقول أحدهم اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا هيئات ليس الأدب إلا ما الله -عزّ وجلّ- باستعمال التقوى له ولا قدر للفظن في أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقّه وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم:

لئن سمت همتي في الفضل عالية فإن حظي ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بي ما لا أسرّ به وكم يسيء زمان جائر حنق
وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم
مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد
ضلت فطنتهم في هذه الغفلة.

قال المصنّف: إن أقواما علت همهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقہ والأدب وغير ذلك فأتاهم إبليس يخفي التلبیس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم فمنهم من يستفزه لطول عنائه في الطلب فحسن له اللذات وقال له: إلى متى هذا التعب فأرج جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك من مشتهاها فان وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة وأورد عليه فضل العلماء فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبیس يهلك وان وفق فينبغي له أن يقول جوابك من ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه.

- والثاني: أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه" وحكايته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن رجل يلقي في النار فتندلق أفتابه فيقول كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية وقول أبي الدرداء -رضي الله عنه- ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرّات.

- والثالث: أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كإبليس وبلعام ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله -تعالى-: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾¹.

¹ سورة الجمعة (62)، الآية 5.

وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى فحسن لهم الكبر بالعلم والحسد للتظير والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم وتارة يقوي حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ وعلاج هذا لمن وفق إدمان التظير في اثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها.

ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استقر نفسه فلم يتكبر ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض أهل البدع واطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنون رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه أو قل حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم.

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس وقد كان أيوب السخيتياني إذا حدث بمحدث فرق ومسح وجهه وقال ما أشد الزكام وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتیبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه أحدها الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المعتاب والثاني لسروره بثلب المسلمين والثالث أنه لا ينكر.

وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريههم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنّف. وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إلى أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلي ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرحة لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر.

ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه وما هذه صفة المخلص في التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر وقد ذكرنا آنفا حديث ابن أبي ليلى ونعيده بإسناد¹ آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه.

¹ كذا في الأصول بدون ذكر السند.

قال المصنّف: وقد يتخلّص العلماء الكاملون من تلبّسات إبليس الظاهرة فيأتيهم
بخفي من تلبّسه بأن يقول له ما لقيت مثلك ما أعرفك بمدخلي ومخارجي فان سكن إلى
هذا هلك بالعجب وان سلم من المسألة له سلم وقد قال السري السقطي لو أن رجلا
دخل بستانا فيه من جميع ما خلق الله -عزّ وجلّ- من الأشجار عليها من جميع ما خلق
الله -تعالى- من الأطيّار فخاطبه كل طائر بلغته وقال: السلام عليك يا وليّ الله فسكنت
نفسه إلى ذلك كأن في أيديها أسيرا والله الهادي لا إله إلا هو .

الباب السابع
في تلبيس إبليس على الولد
والسلاطين

قال المصنّف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها:

- فالوجه الأول: أنّه يريهم أنّه الله -عزّ وجلّ- يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نوابا عنه في عباده.

وينكشف هذا التّلبيس بأنهم إن كانوا نوابا عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مرضيه فحينئذ يحبهم لطاعته فأما صورة الملك والسّلطنة فانه قد أعطاهما خلقا ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم ودخل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُمَلِّي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِتْمًا﴾¹.

- والثاني: أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء بأرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فإذا خالطوا مؤثري الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزرع عنها وذلك سبب الهلاك.

- والثالث: أنّه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم وقد روى أبو مريم الأسدي عن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "مَنْ وُلَّاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجِبْ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ وَفَقَرَهُمْ احْتَجَبَ اللهُ -عزّ وجلّ- دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَفَقَرَهُ".

- والرابع: أنّهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى فيجتلب الدعاء عليهم بظلمة النَّاسِ ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد ويظنون

¹ سورة آل عمران (3)، الآية 178.

أثم يتخلّصون من الله -عزّ وجلّ- ممّا جعلوه في عنق الوافي هيهات إن العامل على الرّكاة إذا وكل الفسّاق بتفرقتها فخانوا ضمن.

- والخامس: أنّه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحلّ قتله ويوههم أنّ هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أنّ الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمّها بأرائنا.

وهذا من أقبح التّليبس، لأنّ الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾¹ وقال: ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾² فمدعي السياسة مدعي الخلل في الشريعة وهذا يزاحم الكفر وقد روينا عن عضد الدولة أنّه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلاّ يشغل قلبه عن تدبير الملك وهذا هو الجنون المطبق لأنّ قتل مسلم بلا جرم لا يحل واعتقاده أنّ هذا جائز كفر وإن اعتقده غير جائز لكنّه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع.

- والسادس: أنّه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنّها بحكمهم. وهذا تليبس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره وإتّما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط.

¹ سورة الأنعام (6)، الآية 38.

² سورة الرعد (13)، الآية 41.

قال ابن عقيل وقد روي عن حماد الرواية أنه أنشد الوليد بن يزيد¹ أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين.

قال: وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدر فيهم لأنه تبذير في بيت مال المسلمين وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير.

- والسابع: أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب وجواب هذا أن يقال إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبيل وهذا وجب عليهم وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه فلا يرفع هذا ذلك.

- والثامن: أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة ولو حقق النظر لرأى اختلالاً كثيراً.

وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد قال رأيت علي بن عيسى الوزير² وقد وكل بدور البطيخ رجلاً برزق يطوف يطوف على باعة العنب فإذا اشترى

¹ هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين؛ لُقّب البيطار وخليع بني مروان والفتاك والتنديق. وُلد سنة 90، وبويع له سنة 125 هـ، هو مقيم بالترصافة، وقُتل بالبصرة على أميال من تدمر 28 جمادى الآخرة سنة 126 هـ، وله 40 سنة -وقيل: 41-، وكانت أيامه سنة وشهرين. وكان أبوه عهد إليه بعد هشام. وكان قد جعل ولديه عثمان والحكم ولبي عهده فحبسا، ولم يزل في الحبس إلى أن ولي مروان الجعدي فقتلها. وكان الوليد قد اتهم بانتهاك محارم الله - تعالى - من شرب الخمر واللباطة ونكاح أمهات أولاد أبيه وتركه للصلاة والصيام... فخرج عليه الناس وقتلوه.

حول ترجمته راجع: فوات الوقيات، ج4/ص256 إلى ص259؛ الأغاني، ج7/ص3 إلى ص82؛ الوزراء والكتاب، ص68؛ الخزانة، ج1/ص328؛ تاريخ الخميس، ج2/ص320؛ تاريخ الإسلام، ج5/ص173؛ تاريخ الخلفاء، ص272؛ الرّوحي، ص27؛ الفخري، ص121؛ خلاصة الذهب المسبوك، ص44.

² الوزير الإمام المحدث الصادق الوزير العادل أبو الحسن، علي بن عيسى بن داود بن الجراح، البغدادي الكاتب. وزر غير مرة للمقتدر وللقاهر، وكان عدتم النظر في فنّه. ولد سنة نيف وأربعين ومائتين. سمع حميد بن الربيع، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأحمد بن بديل القاضي، وعمر بن شبة التميمي، وطائفة. حدث عنه ولده عيسى، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الطاهر الدهلي، وغيرهم.

أحد سلة عنب خمري لم يعرض له وإن اشترى سلّتين فصاعدا طرح عليها الملح لئلاّ يتمكّن من عملها خمراً.

قال: وأدركتُ السلاطين يمنعون المنجمين من القعود في الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر إلى أن بدئ بحكم العجم

- والتاسع: أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستخلافه وإنما الطريق إقامة البيعة على الخائن.

وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاما كتب له أن قوما خانوا في مال الله ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب فكتب إليه لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلي من أن ألقاه بدمائهم

- والعاشر: أنه يحسن لهم التصدق بعد الغضب يريهم أن هذا يمحو ذلك ويقول إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغضب وهذا محال لأنّ إثم الغضب باق ودرهم الصدقة

كان على الحقيقة غنياً شاكراً، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبوراً على المحن، والله به عناية. وهو القائل يعزي ولدي القاضي عمر بن أبي عمر القاضي في أبيهما: مصيبة قد وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدي شكرها. وكان -رحمه الله- كثير الصدقات والصلوات، مجلس موفور بالعلماء. صنّف كتاباً في الدّعاء، وكتاب معاني القرآن، أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ، وآخر. وله ديوان رسائله. وكان من بلغاء زمانه. ورّر في سنة إحدى وثلاث مائة أربعة أعوام، وعزل، ثم ورّر سنة خمس عشرة. قال الصّولي: لا أعلم أنه ورّر لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره، ويقوم ليله، وما رأيت أعرف بالشعر منه، وكان يجلس للمظالم، وينصف الناس، ولم يروا أعفّ بطناً ولساناً وفرجاً منه. ولما عزل ثانياً، لم يقنع ابن الفرات حتى أخرجه عن بغداد، فجاور بمكة. وقد أشار على المقتدر، فأفلح، فوقف ما مغله في العام تسعون ألف دينار على الحرمين والتّغور، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سمّاه ديوان البرّ. وكان الوزير متواضعاً، قال: ما لبست ثوباً بأزيد من سبعة دنانير. قال أحمد بن كامل القاضي: سمعتُ عليّ بن عيسى الوزير، يقول: كسبتُ سبع مائة ألف دينار، أخرجت منها في وجوه البرّ ست مائة ألف وثمانين ألفاً. وقع لي من عواليه في أمالي ولده . تويّ في آخر سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة، وله تسعون سنة.

إن كان من الغضب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغضب لأنَّ اعطاء الفقير لا يمنع تعلُّق الذمَّة بحقِّ آخر.

- والحادي عشر: أنَّه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدَّعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم وهذا الخير لا يدفع ذلك الشرِّ.

وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال: سمعتُ منيعاً يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك فقام مالك فمشى معه إلى السشار فلما رآوه قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت الينا في حاجتك قال حاجتي أن تخلو عن سفينة هذا الرَّجل قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من النَّاس من الدِّراهم فيه فقالوا ادع لنا يا أبا يحيى قال قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف.

- والثاني عشر: أن من الولاية من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأنَّ الإثم على الأمير لا عليك وهذا باطل لأنَّه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فإنَّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعن في الخمر عشرة ولعن آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبدلاً فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً.

وفي الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة والله الهادي إلى الصواب.

الباب الثامن
ذكر قليس إبليس على العباد
في العبادات

قال المصنّف: إعلم أنّ الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل فهو يدخل منه على الجهال بأمان.

وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم وقد قال الربيع بن حيثم تفقّه ثم اعتزل.

فأول تلبسه عليهم: إيثارهم التّعبد على العلم والعلم أفضل من التّوافل فأراهم أنّ المقصود من العلم العمل وما فهموا من العمل إلاّ عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح.

قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة.

وقال يوسف بن أسباط: باب من العلم تتعلّمه أفضل من سبعين غزاة.

وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحبّ إليّ من صلاة ليلة.

قال المصنّف: فلمّا مرّ عليهم هذا التّلبس وآثروا التّعبد بالجوارح على العلم، تمكّن

إبليس من التّلبس عليهم في فنون التّعبد.

من ذلك: أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء وذلك يؤدي الكبد وإنما ينبغي أن يكون بمقدار.

ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحى ويرفع قدمًا ويحط أخرى وعنده أنه يستنقي بهذا وكلما زاد في هذا نزل البول وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فإذا مشى وتنحى وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرّات على أشد المذاهب فإن استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزاء ثلاثة أحجار إذا أنقى بمن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعا لا متبع والله الموفق.

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول أرفع الحدث ثم يقول أستببح الصلاة ثم يعيد فيقول أرفع الحدث وسبب هذا التلبس الجهل بالشرع لأنّ النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر أملا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به فيقول من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كلّ احتمال بعيد وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة الإسراف في الماء وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل والدخول فيما نحت عنه من الزيادة على الثلاث وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة.

وتلبس إبليس على هذا بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ولو تدبر أمره لعلم أنه في مخالفة وتفريط وقد رأينا من ينظر في هذه الوسواس ولا يبالي بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مر بسعد وهو يتوضأ فقال: "ما هذا السرف يا سعد" قال أفي الوضوء سرف قال: "نعم وإن كنت على نهر جار".

وفي الحديث عن أبي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوه" أو قال "فاحذروه" وعن الحسن -رضي الله عنه- قال: شيطان الوضوء يدعى الوهان يضحك بالناس في الوضوء.

وبإسناد مرفوع إلى أبي نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك فقال عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإني سمعت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور".

وعن ابن شوذب قال كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صبا صبا وذلكا ذلكا تعذيبا لأنفسهم وخلافا لسنة نبيهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول أجل محصول عند العقلاء الوقت وأقل متعبد به الماء وقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "صبوا على بول الأعرابي ذنوبا من ماء" وقال في المني: "أمطه عنك بأذخرة" قال وفي الخداء طهوره بأن يدلك بالأرض.

وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده وقال: "يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام" وكان يحمل ابنه أبي العاص بن الربيع في الصلاة ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يردده وقال: "ما أبقيت لنا طهور" وقال: "يا صاحب الماء لا تحبره".

وقد صالح رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأعراب وركب الحمار معرويا وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء وتوضأ من سقاية المسجد ومعلوم حال الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة وتوضأ من غدیر كأن ماء نقاعة الحناء.

فأما قوله: "استنزهوا البول" فان لتنزهه حدا معلوما وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء فأما الاستنثار فانه إذا علق نما وانقطع الوقت بما لا يقضي بمثله الشرع.

قال المصنّف: وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصّالحين يستعمل ماء كثيرا في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه فقال نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا يحيى بن سعيد الأنصاري حدثني عن سعيد بن المسيب قال إذا جاوز الوضوء ثلاثا لم يرفع إلى السماء قال: قلت لا أعود لا أعود فأنا اليوم يكفيني كف من ماء.

ومن ذلك: التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجهم عن موضع التعظيم إلى مشابحة الغناء ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسييح والمواغظ ويجعلون الأذان وسطا فيختلط وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان.

وقد رأينا من يقوم بالليل كثيرا على المنارة فيعظ ويذكر ومنهم من يقرأ سورا من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتجهدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات.

من ذلك: تلبسه عليهم في الثياب التي يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الظاهر مرارا وربما لمسه مسلم فيغسله ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى غسلها في البيت يجزىء ومنهم من يديها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا في ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطنتهم وأكسيتهم ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه.

ولا يظنّ ظانّ أنّي أمتنع من النّظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضیعة للزمان هي التي ننهي عنها ومن ذلك تلبسه عليهم في نيّة الصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثمّ يعيد هذا ظنّاً منه أنّه قد نقض النية والنية لا تنقض وأن لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثمّ ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه.

فليت شعري! ما الذي أحضر النيّة حينئذ وما ذاك إلّا لأنّ إبليس أراد أن يفوته الفضيلة وفي الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبسات إبليس والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا لأصحابه شيء من هذا وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلي بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا.

وكشف هذا التلبس أن يقال للموسوس إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض.

قال المصنّف: وقد حكى لي بعض الأسيّاح عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال إني أغسل العضو وأقول ما غسلته وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل دع الصلّاة فإنّها ما تجب عليك فقال قوم لابن عقيل كيف تقول هذا فقال لهم قال النّبّي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلّاة.

قال المصنّف: واعلم أنّ الوسوسة في نيّة الصلّاة سببها خبل في العقل وجهل بالتسرع ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال نويت أن أنتصب قائما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهي صفة في عقله فإنّ هذا قد تصوّر في ذهنه منذ رأى العالم فقيام الانسان إلى الصلّاة ليؤدّي الفرض أمر يتصوّر في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه.

وإنّما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض وإنّ الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهريّة والأذائيّة والفرضيّة في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه.

فمن عرف هذا عرف النيّة ثمّ إنّّه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها فما وجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير.

وعن مسور قال أخرج إلي معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبي بكر وإني لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم.

ومن الموسوسين مَنْ إذا صحت له النيّة وكبر ذهل عن باقي صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول في العبادة فكيف تمهل العبادة وهي كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب.

ومن الموسوسين مَنْ تصحّ له التكبيرة خلف الإمام وقد بقي من الركعة يسير فيستفتح ويستعيد فيركع الإمام وهذا تلبيس أيضا لأنّ الذي شرع فيه من التعود والاستفتاح مسنون والذي تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدم عليه سنة.

قال المصنّف: وقد كنت أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصبا فرآني مرة أفعل هذا فقال يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن.

وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيرا من السنن لواقعات وقعت لهم فمنهم من كان يتخلّف عن الصفّ الأوّل ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد في الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس في قلبي.

وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصّالحين وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففي الصّحّاحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنّه

قال: "لو يعلم الناس ما لهم في النداء والصفّ الأوّل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا" وفي أفراد مسلم من حديثه عن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "خير صفوف الرّجال أوّلها وشرّها آخرها" وأما وضع اليد على اليد فسنة.

روى أبو داود في سننه أن ابن الزّبير قال وضع اليد على اليد من السنة وإن ابن مسعود كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنّف: ولا يكبرن عليك إنكارنا على من قال أراد قرب القلوب ولا أضع يدا على يد وان كان من الأكابر فإنّ الشّرع هو المنكر لا نحن.

وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه ان ابن المبارك يقول كذا وكذا فقال ان ابن المبارك لم ينزل من السماء وقيل له قال ابراهيم بن أدهم فقال: جئتموني ببنيات الطريق عليكم بالأصل فلا ينبغي أن يترك الشّرع لقول معظم في النفس فإنّ الشّرع أعظم والخطأ في التأويل على الناس يجري ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه.

وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد وتارة في إخراج ضاد المغضوب ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقعة مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوسوس من إبليس.

وعن سعيد بن عبد الرّحمان بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك -رضي الله عنه- وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله رأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أم شيء تنقلته قال انها لصلاة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما

أخطأت إلا شيئا سهوت عنه أنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقول: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديورات ﴿رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾"¹.
وفي أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص قال: قلت لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثا واتفل عن يسارك" ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

وقد لبس إبليس على خلق كثير من الجهالة المتعبدین فأروا أن العبادة هي القيام والعود فحسب وهم يدأبون في ذلك ويخلون في بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام عنهم ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتكثرون المستنون في الصلاة ويرتكبون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدین وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالتهار مكروه فقال لي أنا أطرده النوم عني بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فتم فان للنفس عليك حقا وعن بريدة قال قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من جهر بالقراءة في النهار فارجموه بالبعر".

¹ سورة الحديد (57)، الآية 27.

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثرُوا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يقيم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته.

ولقد رأيت شيخا من المتعبدين يقال له حسين القزويني يمشي كثيرا من النهار في جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقبل لي لئلا ينام فقلت هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل أما الشرع فإنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "إن لنفسك عليك حقا فقم ونم" وكان يقول: "عليكم هديا قصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه".

وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: "ما هذا" قالوا لزئيب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال: "حلوه" ثم قال: "ليصلي أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعده". وعن عائشة قالت قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإذا صَلَّى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه".

قال المصنّف: هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وانفرد بالذي قبله البخاري وأما العقل فان النوم يجدد القوى التي قد كلت بالسهر فمتى دفعه الانسان وقت الحاجة إليه أقر في بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل.

فإن قال قائل: فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يجيئون الليل. فالجواب أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة وكانوا يستعينون بالقائلة من قلة المطعم وصحّ لهم ذلك ثم لم يبلغنا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة.

وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار فرمما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها فأقل ما في هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب.

وقد لبس على آخرين انفردوا في المساجد للصلاة والتعبّد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلّوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبّد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح.
وعن زيد بن ثابت أن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "إنّ أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة".

قال المصنّف: أخرجاه في الصحيحين وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلّي وكان لا يتنفل في المسجد وكان يصلّي كلّ يوم ألف ركعة وكان ابن أبي ليلى إذا صلّى ودخل عليه داخل اضطجع.

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء.
وعن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلّى في بيته نشج نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعلها واحد يراه ما فعله وقد كان أيوب السخيتياني إذا غلبه البكاء قام.

وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون في
إصلاح عيب باطن ولا في مطعم والنظر في ذلك أولى بهم من كثرة التنقل.

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزا من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل يوم أو في كل ركعة وهذا يكون نادرا منهم ومن داوم عليه فإنه وان كان جائزا إلا أن الترتيل والتثبّت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث" .

قال المصنّف: وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزئين فيجتمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد.

قال المصنّف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرا فرمما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرا ولا يدري متى يختم.

قال المصنّف: قد سبق ذكر جملة من تلبس إبليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق.

قال المصنّف: وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أنّ الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربّما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "إنّ لزوجك عليك حقًّا" فكم من فرض يضيع بهذا النفل والثاني أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "أفضل الصلّاة صلاة داود -عليه الصلّاة والسلام-: "كان يصوم يومًا".

وبالإسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: "لم أحدث عنك أنّك تقوم الليل وأنت الذي تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار" قال أحسبه قال: نعم يا رسول الله قد قلت ذلك فقال: "فقم ونم وسم وأفطر وسم من كلّ شهر ثلاثة أيام ولك مثل صيام الدهر" قال: قلت يا رسول الله إني أطيع أكثر من ذلك قال: "فصم يوما وأفطر يومين" قلت إني أطيع أفضل من ذلك قال: "فصم يوما وأفطر يوما وهو أعدل الصوم وهو صيام داود -عليه السلام-". قلت: إني أطيع أفضل من ذلك فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا أفضل من ذلك" أخرجاه في الصحيحين.

فإن قال قائل: فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنّهم كانوا يسردون الصّوم فالجواب أنّهم كانوا يقدرّون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعلّ أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب.

ثمّ أنّ فيهم من فعل هذا في آخر عمره على أن قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث.

وقد داوم جماعة من القدماء على الصّوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهب عينه ومنهم من نشف دماغه وهذا تفريط في حقّ النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز.

وقد يشيع على المتعبّد أنّه يصوم الدّهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفي الرّياء ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به. ومنهم من يجبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدي بك والله أعلم بالمقاصد.

قال سفيان الثوري -رضي الله عنه-: إنّ العبد ليعمل العمل في السرّ، فلا يزال به الشّيطان حتّى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعي إلى طعام قال اليوم الخميس ولو قال: أنا صائم كانت محنة وإتّما قوله اليوم الخميس معناه إيّ أصوم كلّ خميس وفي هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون ومنهم من يلازم الصّوم ولا يبالي على ماذا أفطر ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له إبليس أنّ صومك يدفع إثمك وكل هذا من التّلبيس.

قال المصنّف: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضا الوالدين وهذا خطأ وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة ومنهم من يجب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطّهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقيّة وإبليس يريهم صورة الحج فيغريهم وإنما المراد من الحجّ القرب بالقلوب لا بالأبدان.

وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكّة همته عدد حجّاته فيقول لي عشرون وقفة وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع في تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان وربما قال أن لي اليوم عشرين سنة مجاوراً وكم قد رأيت في طريق مكّة من قاصد إلى الحج يضرب رفاقه على الماء ويضايقهم في الطريق.

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكّة فهم يضيعون الصلوات ويطفون إذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا في المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون في إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويقون في الشمس أيما فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك. وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أنّ التّيّ -صلى الله عليه وسلّم- رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه وفي لفظ آخر رأى رجلاً يقود إنساناً بخزامة في أنفه فقطعها بيده ثمّ أمره في أن يقوده بيده.

قال المصنّف: وهذا الحديث يتضمّن التّهي عن الابتداع في الدّين وإن قصدت بذلك الطّاعة.

وقد لبس على قوم يدعون التوكّل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكّل وهم
على غاية الخطأ قال رجل للإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- أريد أن أخرج إلى مكة
على التوكّل من غير زاد فقال له أحمد: فأخرج في غير القافلة قال: لا إلّا معهم قال:
فعلى جراب الناس توكّلت. فنسأل الله أن يوفقنا.

قال المصنّف: قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيّات.

وعن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأبى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" أخرجاه في الصّحيحين.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فإنّ الرّجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه.

وبالإسناد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّه قال: "أَوَّلُ النَّاسِ يَقْضِي فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قَتَلْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلِمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ مَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلِمْتَهُ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَقَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ هُوَ عَالِمٌ فَقَدْ قِيلَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ مَا عَمِلْتَ فِيهَا فَقَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ أَنْتَ تَحِبُّهُ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ". انفراد باخراجه مسلم.

وبإسناد مرفوع عن أبي حاتم الرّازي قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول: كنّا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الرّوم، فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل

وقد يكون الغازي عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعلوها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم.

روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري قال لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحقّ معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قطّ ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أنّ للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه فاتبعوه رجالاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

وهم قسّمان عالم وجاهل فدخول إبليس على العالم من طريقين:

- الطّريق الأوّل: التزيّن بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل.

روئنا بإسناد عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سلمان يقول سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل قال فكرهت أن أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوني بأبصارهم فيعرض لي تزيّن فيأمر بي فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت.

- والطّريق الثّاني: الغضب للتّمس ورتما كان ابتداء ورتما عرض في حالة الأمر بالمعروف لأجل ما يلقي به المنكر من الإهانة فتصير خصومه لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل لولا أنّي غضبان لعاقبتك ورتما أراد أنّك أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولي.

فأما إذا كان الأمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به ورتما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه لأنه رتما نهى عن شيء جائز بالإجماع ورتما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب ورتما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه ورتما كشف ما قد أمر الشّرع بستره.

وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال اذا كان مغطى فلا تكسره وقال في رواية أخرى إكسره.

وهذا محمول على أنه يكون مغطىً بشيء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين.

وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم.
وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أنّ السلطان يقيم الحدود فارفع إليه.

ومن تلبس إبليس على المنكر أنّه إذا أنكر جلس في مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سبّ الحق عليهم ويلعنهم ولعلّ القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنّه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن.
وسمعتُ عن بعض الجهلة بالإنكار أنّه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأواني وكل هذا يوجهه الجهل فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان.

وقد كان السلف يتلطفون في الإنكار.

ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة فقال إنّ الله يراكما سترنا الله وإياكما.
وكان يمر بقوم يلعبون فيقول يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفرًا فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره فانتبه رجل منهم فقال يا قوم إنما يعلمنا هذا فتاب وصحبه.

وأولى الناس بالتلطف في الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصي.

وقد لبس إبليس على بعض المتعبدین فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهي من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف أمر غيري؟! وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهي ولو كانت تلك المعصية فيه إلا أنه متى أنكر متنزه عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزه لم يكده يعمل إنكاره فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره.

قال ابن عقيل: رأينا في زماننا أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أضر من إطلاعه في التنوير وتبعه وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام التهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهمز الجيش.

الباب التّاسع
في ذكر تلبّيس إبليس
على الزّهّاد والعبّاد

قد يسمع العاقبي ذمّ الدّنيا في القرآن المجيد والأحاديث، فيرى أن النجاة تركها ولا يدري ما الدّنيا المذمومة، فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو في الآخرة إلاّ بترك الدّنيا، فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش.

ويخيل إليه أنّ هذا هو الزهد الحقيقي كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد في جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والده فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي وربّما كانت عليه مظالم لم يخرج منها.

وإنّما يتمكّن إبليس من التلبس على هذا لقلّة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أنّ الدّنيا لا تدمّ لذاتها وكيف يدمّ ما من الله -تعالى- به وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في إعانتة على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلي فيه.

وإنّما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناها لا بإذن الشرع وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهي عنه فإنّ التّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى أن يبني الرجل وحده، وأنّ التّعريض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوّي سلطان الجهل وفراق الوالد والوالدة في مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر.

وأما من سمع عنه أنّه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتلّ أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين ومن لم يحتلّ حالهم وجهها صحيحا فهم على الخطأ من كانوا وقد قال بعض السلف: خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثّوري فردّنا.

ومن تلبسه على الزهّاد: إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وبيان ذلك أنّ الزّاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعدد وكم قد ردّ إلى الصّواب من متعبد.

ومن تلبسه عليهم أنه يوهّمهم أنّ الزّهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير ومنهم من لا يذوق الفاكهة ومنهم من يقلل المطعم حتى يبس بدنه ويعدّب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد.

وما هذه طريقة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا طريق أصحابه وأتباعهم وإنّما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا فاذا وجدوا أكلوا.

وقد كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويجب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإنّ الماء الجاري يؤذي المعدة ولا يروي.

وقد كان رجل يقول: أنا لا أكل الخبيص لأني لا أقوم بشكره فقال الحسن البصري هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد.

وقد كان سفيان الثّوري إذا سافر حمل في سفرته اللحم المشوي والفالودج. وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشّهوات فان ذلك يؤذي البدن والدّين.

ثم إنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي طَبَاعِهِمْ فَإِنَّ الْأَعْرَابَ إِذَا لَبَسُوا الصُّوفَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى شَرِبِ اللَّبَنِ لَمْ نَلْمِهِمْ لِأَنَّ مَطَايَا أَبْدَانِهِمْ تَحْمِلُ ذَلِكَ وَأَهْلُ السُّوَادِ إِذَا لَبَسُوا الصُّوفَ وَأَكَلُوا الْكُوَامِخَ لَمْ نَلْمِهِمْ أَيْضًا وَلَا نَقُولُ فِي هَؤُلَاءِ مَنْ قَدْ حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ هَذِهِ عَادَةُ الْقَوْمِ.

فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَدَنُ مَتَرَفًا قَدْ نَشَأَ عَلَى التَّنْعَمِ فَإِنَّا نَنْهَى صَاحِبَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ مَا يُؤْذِيهِ فَإِنَّ تَزْهَدَ وَآثَرَ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ إِذَا لَمْ يَلْتَمِزْ الْحَلَالَ لَا يَحْتَمِلُ السَّرْفَ أَوْ لِأَنَّ الطَّعَامَ اللَّذِيذَ يُوجِبُ كَثْرَةَ التَّنَاوُلِ فَيَكْثُرُ التَّوْمُ وَالْكَسَلُ فَهَذَا يَحْتَاجُ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَضُرُّ تَرْكَهُ وَمَا لَا يَضُرُّ فَيَأْخُذُ قَدْرَ الْقَوَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذِيَ النَّفْسَ.

وَقَدْ ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ الْخَبِزَ الْقَفَازَ يَكْفِي فِي قَوَامِ الْبَدَنِ وَلَوْ كَفَى إِلَّا أَنَّ الْاِقْتِصَارَ يُؤْذِي مِنْ جِهَةِ أَنْ أَحْلَاطَ الْبَدَنِ تَفْتَقِرُ إِلَى الْحَامِضِ وَالْحَلْوِ وَالْحَارِّ وَالْبَارِدِ وَالْمَمْسُكِ وَالْمَسْهَلِ وَقَدْ جَعَلَ أَسْبَابَ مِثْلِ أَنْ يَقِلَّ عِنْدَهَا الْبَلْغَمُ الَّذِي لَا يَدَّ فِي قَوَامِهَا مِنْهُ فَتَشْتَاكُ إِلَى اللَّبَنِ وَيَكْثُرُ عِنْدَهَا الصَّفَرَاءُ فَتَمِيلُ إِلَى الْحَمُوضَةِ فَمَنْ كَفَهَا عَنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَقْتَضَى مَا قَدْ وَضَعَ فِي طَبْعِهَا مِمَّا يَصْلِحُهَا فَقَدْ آذَاهَا إِلَّا أَنْ يَكْفِيهَا عَنِ الشَّبِيعِ وَالشَّرِّهِ وَمَا يَخَافُ عَاقِبَتَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُهَا فَأَمَّا الْكَفِّ الْمَطْلُوقَ فَحِطًّا فَافْهَمْ هَذَا.

وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ الْحَارِثِ الْحَاسِبِيِّ وَأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ فِيمَا ذَكَرَا مِنْ تَقْلِيلِ الْمَطْعَمِ وَمَجَاهِدَةَ النَّفْسِ بِتَرْكِ مَبَاحَاتِهَا فَإِنَّ اتِّبَاعَ الشَّارِعِ وَصَحَابَتَهُ أَوْلَى.

وَكَانَ ابْنُ عَقِيلٍ يَقُولُ مَا أَعْجَبَ أُمُورَكُمْ فِي الْمَتَدِينِ إِذَا أَهْوَاءَ مَتَبِعَةٌ أَوْ رَهْبَانِيَّةٌ مَبْتَدَعَةٌ بَيْنَ تَجْرِيرِ أَذْيَالِ الْمَرْحِ فِي الصَّبَا وَاللَّعْبِ وَبَيْنَ إِهْمَالِ الْحَقُوقِ وَإِطْرَاحِ الْعِيَالِ وَاللَّحُوقِ بِنِزْوَابِ الْمَسَاجِدِ، فَهَلَّا عَبْدُوا عَلَى عَقْلِ وَشَرَعُوا؟!

ومن تلبسه عليهم: أنه يوهمهم أنّ الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه فتراهم يتصدون لزيارة الأمراء إيّاهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة وربما ردّ أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من ترغد الناس إليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأنّ غاية الدنيا الرياسة.

وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفي الرياء فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدلّ به على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة. ومثل هذه الظواهر لا تخفى وإتّما نشير إلى خفي الرياء وقد قال النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إتّما الأعمال بالنيات" ومتى لم يرد بالعمل وجه الله -عزّ وجلّ- لم يقبل. قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا تتعب. واغلم أنّ المؤمن لا يريد بعمله إلاّ الله -سبحانه وتعالى- وإتّما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر فنجانته منه صعبة. وفي الحديث مرفوعاً عن يسار: قال لي يوسف بن أسباط: "تعلموا صحّة العمل من سقمه، فإنّي تعلّمته في اثنتين وعشرين سنة".

وفي الحديث مرفوعا عن ابراهيم الخنظلي قال: سمعت بقية بن الوليد¹ يقول:

¹ بقية بن الوليد ابن صائد بن كعب بن حريز الحافظ العالم محدث حمص أبو محمد الحميري الكلاعي ثم الميتمي الحمصي أحد المشاهي الأعلام. ولد سنة عشر ومائة سمع ذلك منه يزيد بن عبد ربه الجرجسي. وروى عن محمد بن زياد الألهاني وصفوان بن عمرو السكسكي وبجير بن سعد وثور بن يزيد وبشر بن عبد الله بن يسار وحبيب بن صالح الطائي وحصين بن مالك الفزاري والسري ابن ينعم الجبلاي وضارة بن مالك وعثمان بن زفر وعتبة بن أبي حكيم ومحمد بن عبد الرحمن بن عرق اليحصي ومحمد بن الوليد الزبيدي ومسلم بن زياد ويونس بن يزيد الأيلي والوضين بن عطاء ويزيد بن عوف وأبي بكر بن أبي مريم وحرير بن عثمان وأمم سواهم والاوزاعي وشعبة ومالك وابن المبارك وينزل إلى يزيد بن هارون وأقرانه. وقد روى عن تلميذه إسحاق بن راهويه وكان من أوعية العلم لكنه كدر ذلك بالإكثار عن الضعفاء والعوام والحمل عن دب ودرج وروى عنه شعبة والحمادان والأوزاعي وابن جريح وهم من شيوخه وابن المبارك ويزيد بن هارون والوليد بن مسلم ووكيع وهم من أقرانه وإسماعيل بن عياش وهو أكبر منه وحيوة بن شريح ويزيد بن عبد ربه وأسد بن موسى وداود بن رشيد وإسحاق بن راهويه وعلي بن جحر ونعيم بن حماد وهشام بن عمار وإبراهيم ابن موسى الفراء وسويد بن سعيد وعمرو بن عثمان بن سعيد وأخوه يحيى وأبو التقي هشام بن عبد الملك ومحمد بن مصفى وعيسى ابن أحمد العسقلاني ومحمد بن عمرو بن حنان ومهنا بن يحيى وهشام بن خالد الأزرق ويعقوب الدورقي وعبد بن عبد الرحيم المروزي وتخلق كثير خاتمهم أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي روى رباح بن زيد الكوفي عن ابن المبارك قال إذا اجتمع إسماعيل بن عياش وبقية بن الوليد فبقية أحب إلي وروى سفيان بن عبد الملك عن ابن المبارك قال بقية كان صدوقا لكنه يكتب عن من قبل وأدبر وقال يحيى بن المغيرة الرازي عن ابن عيينة لا تسمعوا من بقية ما كان في سنة واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره قلت لهذا أكثر الأئمة على التشديد في أحاديث الأحكام والترخيص قليلا لا كل الترخيص في الفضائل والرفائق فيقبلون في ذلك ما ضعف إسناده لا ما أتم رواته فإن الأحاديث الموضوعية والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفتون إليها بل يروونها للتحذير منها والهنك لخالها فمن دلسها أو غطى تبيها فهو حان على السنة خائن لله ورسوله فإن كان يجهل ذلك فقد يعذر بالجهل ولكن سلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون قال أبو معين الرازي عن يحيى بن معين قال كان شعبة مبجلا لبقية حيث قدم بغداد عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سئل أبي عن بقية وإسماعيل فقال بقية أحب إلي وإذا حدث عن قوم ليسوا بمعروفين فلا تقبلوه قال أحمد بن زهير سئل ابن معين عن بقية فقال إذا حدث عن الثقات مثل صفوان بن عمرو وغيره وأما إذا حدث عن أولئك المجهولين فلا وإذا

سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: تعلّمت المعرفة من راهب يُقال له سمعان، دخلتُ عليه في صومعته فقلت له: يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة قلت: ما طعامك؟ قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم قال:

كنى الرجل أو لم يسم اسمه فليس يساوي شيئاً وسئل أيما أثبت هو أو إسماعيل قال كلاهما صالحان يعقوب بن شيبه عن أحمد بن العباس سمعه يحيى بن معين يقول بقية يحدث عن من أصغر منه وعنده ألفا حديث عن شعبة صحاح كان يذاكر شعبة بالفقه ولقد قال لي أبو نعيم كان بقية يرضن بحديثه عن الثقات طلبت منه كتاب صفوان قال كتاب صفوان ثم قال ابن معين كان يحدث عن الضعفاء بمائة حديث قبل أن يحدث عن الثقة بحديث قال يعقوب بن شيبه بقية ثقة حسن الحديث إذا حدث عن المعروفين ويحدث عن قوم متروكي الحديث وضعفاء ويحيد عن أسمائهم إلى كناههم وعن كناههم إلى أسمائهم ويحدث عن من أصغر منه حدث عن سويد بن سعيد الحدثاني. قال ابن سعد كان بقية ثقة في الرواية عن الثقات ضعيفا في روايته عن غير الثقات قلت وهو أيضا ضعيف الحديث إذا قال عن فإنه مدلس. وقال أحمد العجلي ثقة عن المعروفين فإذا روى عن مجهول فليس بشيء وقال أبو زرعة بقية عجب إذا روى عن الثقات فهو ثقة ويحدث عن قوم لا يعرفون ولا يضبطون وقال ماله عيب إلا كثرة روايته عن المجهولين فأما الصدق فلا يروى من الصدق، وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وهو أحب إلي من إسماعيل بن عياش وقال أبو عبد الرحمن النسائي إذا قال حدثنا وأخبرنا فهو ثقة وإذا قال عن فلان فلا يؤخذ عنه لأنه لا يدري عن من أخذه وقال أبو أحمد بن عدي يخالف في بعض روايته الثقات وإذا روى عن أهل الشام فإنه ثبت وإذا روى عن غيرهم خلط وإذا روى عن المجهولين فالعهدة منهم لا منه وهو صاحب حديث يروي عن الصغار والكبار ويروي عنه الكبار من الناس وهذه صفة بقية. وقال ابن حبان سمع بقية من شعبة ومالك وغيرهما أحاديث مستقيمة ثم سمع من أقوام كذابين عن شعبة ومالك فروى عن الثقات بالتدليس ما أخذ عن الضعفاء قال أبو مسهر الغساني أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية. وقال أبو إسحاق الجوزجاني رحم الله بقية ما كان يبالي إذا وجد خرافة عن من يأخذه فإن حدث عن الثقات فلا بأس به. وقال عبد الله بن أحمد سألت أبي عن ضمرة وبقية فقال ضمرة أحب إلينا ضمرة ثقة رجل صالح قال أبو داود بقية أحسن حالا من الوليد بن مسلم وليس هذا عند الناس، كذا قال ابن سعد ومطين وطائفة مات بقية سنة سبع وتسعين ومئة قلت وفيها مات حافظ العراق وكيع وحافظ مصر ابن وهب وهشام بن يوسف قاضي اليمن وشعيب بن حرب بالمداين وعثمان بن سعيد ورش مقرئ مصر وعاش بقية سبعا وثمانين سنة.

في كلِّ ليلة حمصة قلتُ: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الذين بجذائك قلتُ: نعم قال: إنهم يأتونني في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونني بذلك وكلّما تناقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعزّ ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد فوقر في قلبي المعرفة فقال: أزيدك قلت: نعم، قال/ انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلي ركوّة فيها عشرون حمصة فقال لي أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوّته قالوا وما تصنع به نحن أحقّ ساوم قلتُ: عشرين ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال: أخطأت لو ساومتهم ألفاً لأعطوك هذا عزّ من لا يعبده فانظر كيف تكون بعزّ من تعبده يا حنيفي! أقبل على ربّك!".

قلتُ: ولخوف الرّياء ستر الصالحون أعمالهم حدرا عليها وبهجوها بضدها فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويكي بالليل وكان في ذيل أيوب السخيتاني بعض الطول وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء.

وبالاسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنّه سمع وهب ابن منبه يقول كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظمهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم أرانا يجب أحدنا أن تقضي له حاجته وأن اشترى بيعة أن يقارب لمكان دينه وإن لقي حيي ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك فقال: وما يصنع قال للكلام الذي وعظت به فسأل غلامه: هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه باجابه خفية وأقبل على طعامه يأكله، فقال: الملك أين الرّجل؟ فقيل له: هو هذا قال: هذا الذي يأكل قالوا: نعم قال: فما عند هذا من

خير فأدبر فقال الرجل الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به وفي رواية أخرى عن وهب أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة ويغمسها في الزيت فيأكل أكلا عنيفا فقال له الملك: كيف أنت يا فلان؟ فقال: كالناس فرد الملك عنان دابته وقال: ما في هذا من خير فقال الحمد لله الذي أذهب عني وهو لائم لي. وبإسناد عن عطاء قال: أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، فجعل يمشي في الأسواق ويأكل فقيل للوليد إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل، فتركه. ومثل هذا كثير.

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهرا وباطنا لكنّه قد علم أنّه لا بد أن يتحدّث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته فيهنّ عليه الصبر كما هان على الزاهد الذي ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم ولو أنّه أراد الإخلاص في زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه. فقد كان داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله كان يأخذ غذائه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق فأهل السوق يظنون أنّه قد أكل في البيت وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق. هكذا كان الناس.

ومن المتزهدين من قوته الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه باني أخاف أن أرى في خروجي المنكرات. وله في ذلك

مقاصد منها الكبر واحتقار النَّاس ومنها أنَّه يخاف أن يقصِّروا في خدمته ومنها حفظ ناموسه ورياسته فإنَّ مخالطة النَّاس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطرأؤه وذكره وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابجه وجهله بالعلم فيرى هذا ويجب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجىء الأُمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبلهم يده فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول أصحابه أعذروا الشَّيخ فهذه عادته لا كانت عادة تخالف الشريعة.

ولو احتاج هذا الشَّخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيئه بين العوام ولو أنَّه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن في باطنه حفظ الناموس.

وقد كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى. والحديث باسناد عن محمد بن القاسم قال روي عن عبد الله بن حنظلة قال مرَّ عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله قال أردت أن أدفع به الكبر وذلك إني سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر".

قال المصنّف: وهذا الذي ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأنَّ ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع ومراعاة قلوبهم في مثل هذا يخرج إلى الرِّياء واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لا يمنع منه.

وليس كلُّ ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب النَّاس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم.

قال الأوزاعي: كُنَّا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدي بنا فلا أرى ذلك يسعنا.
وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم أنّ أصحابه كانوا يوماً يتمازحون، فدقّ رجلُ
الباب، فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا له تعلمنا الرياء فقال إني أكره أن يعصى الله
فيكم.

قال المصنّف: وإمّا خاف قول الجهلة: انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون؟!
وذلك أنّ العوام لا يهتمون مثل هذا للمتعبدين.

ومن هؤلاء: قومٌ لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس
جاهه في الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه في التبسّم فضلاً عن
الضحك ويوهمه إبليس أنّ هذا لإصلاح الخلق وإمّا هو رياء يحفظ به قانون التاموس فتراه
مطأطي الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى.

وقد كان السلف يدفعون عنهم كلّ ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان
الذي يشار إليهم فيه.

والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال: قال يوسف بن أسباط خرجت من
سبج راجلاً حتى أتيت المصيصة وجرابي على عنقي فقام ذا من حانوته يسلم عليّ وذا
يسلم فطرحت جرابي ودخلت المسجد أصلي ركعتين أحد قوابي واضطلع رجل في وجهي
فقلت في نفسي كم بقاء قلبي على هذا فأخذت جرابي ورجعت بعربيّ وعنائني إلى سبج
فما رجعت إلى قلبي سنتين.

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيظه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير وهذا من أبواب الرياء فإن كان صادقاً في إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائي ألا تسرح لحيتك فقال: إني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة إذ ليست هذه طريقة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا أصحابه فإنه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن ويتطيب، وهو أشغل الخلق بالآخرة. وكان أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- يخضبان بالحناء والكتم، وهما أخوف الصحابة وأزهدهم فمن أدعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكارم لم يلتفت إليه.

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إن لأهلك عليك حقاً". وقد كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة. فهذا المتزهّد الجاعل زوجته كالآيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه، لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدري لقلّة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة. وفي الصحيحين أنّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لجابر هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك وربما غلب على هذا المتزهّد التحفف فترك مباحة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة.

ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له: أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقا ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل إليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشي عليه فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تدمر في باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمتن بعمله ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي وقيل لها: هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك فقالت اذا كان فمخافتي أن يرد عليّ.

ومن تلبس إبليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه.

قال ابن عقيل: كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقني كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام في شهر رمضان فكان يخاطب بأي القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول في أذنه: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾¹ ويقول لابنه في عشية الصوم: ﴿مَنْ بَقُلْهَا وَقَتَّائِهَا﴾² أما له أن يشتري البقل فقلت له: هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية فصعب عليه فقلت أن هذا القرآن العزيز أنزل في بيان أحكام شرعية فلا يستعمل

¹ سورة المائدة (5)، الآية 23.

² سورة البقرة (2)، الآية 61.

في أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرّك السّدر والأشنان في ورق المصحف أو توسدك له فهجري ولم يصغ إلى الحجّة.

قال المصنّف: قلت وقد يسمع الزّاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه أنّ رجلاً استفتاه فقال ما تقول في امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها قال فقلت لا وكان عندي الشريف الدحالي¹ وكان مشهوراً بالزّهد عظيم القدر بين العوامّ فقال لي بل تحل فقلت ما قال بهذا أحد فقال والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة.

قال المصنّف: فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل.

وقد كان السّلف ينكرون على الزّاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتي لأنّه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخييط المتزّهدين اليوم في الفتوى بالوقائع. وبالاسناد عن إسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكّة فقال لي أحمد ابن حنبل من هذا الخراساني الذي قد قدم قلت من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا فقال لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا.

ومن تلبسه على الزّهاد: احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أنّ العلم نور القلب ولو عرفوا مرتبة العلماء في حفظ الشريعة وأنّها مرتبة الأنبياء لعدّوا أنفسهم كالكم عند الفصحاء والعمي عند البصراء والعلماء أدلّة الطّريق والخلق وراءهم وسليم هؤلاء يمشي وحده.

¹ وفي النسخة الثانية: الرحالي.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنّ النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لعليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم".

ومّا يعيرون به العلماء: تفسّح العلماء في بعض المباحات التي يتقوون بها على دراسة العلم وكذلك يعيرون جامع الأموال ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله وغاية الأمر أنّ غيره أوّل منه أفيحسن لمن صلّى اللّيل أن يعيب على من أذى الفرض ونام.

ولقد روينا بإسناد عن محمّد بن جعفر الخولاني قال حدثني أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال: دخلنا مع حاتم البلخي إلى الري ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج وعليهم الصوف والزمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام فنزلنا على رجل من التجّار متنسك فضافنا تلك اللّيلة.

فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيء معك وكان العليل محمّد بن مقاتل قاضي الري فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فإذا البواب فبقي حاتم متفكراً يقول يا رب دار عالم على هذه الحال ثمّ أذن لهم فدخلوا فإذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور فبقي حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمّد بن مقاتل وإذا بفراش حسن وطىء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف فقعد الرازي وبقي حاتم قائماً فأومئ إليه محمّد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم لا أجلس فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال فأسألني قال حاتم قم فاستو جالسا

حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه فقال حاتم علمك هذا من أين جئت به فقال حدثني الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون ممن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال وأصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عمن أخذوه قال عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال ورسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أين جاء به قال عن جبريل عن الله - عز وجل - فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله - عز وجل - إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأداة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى الصحابة وأداة الصحابة إلى تابعيهم وأداة التابعون إلى الأئمة وأداة الأئمة إلى الثقات وأداة الثقات اليكم هل سمعت في هذا العلم من كانت داره في الدنيا أحسن وفراشه الين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله - عز وجل - أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله - عز وجل - له منزلة أكثر وإليه أقرب.

قال حاتم: وأنت بمن أقتديت أبا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون وتمرود فإيهما أول من بنى بالخص والآجر يا علماء السوء إن الجاهل المتكالب على الدنيا الرّاغب فيها يقول هذا العالم على هذه الحالة إلا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمي جئتك لتعلمني مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة فقال نعم وكرامة يا غلام اناء فيه ماء فجاءه باناء فيه ماء فقعده محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثاً حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً فقال الطنافسي أسرفت قال حاتم فيماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراد به بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم إلى الحجاز فلما

صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة فلما دخل المدينة قال يا قوم أي مدينة هذه قالوا مدينة الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال فأين قصر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى أذهب إليه فأصلي فيه ركعتين قالوا ما كان لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قصر إنما كان له بيت لاط قال فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطفة فقال حاتم فهذه مدينة فرعون قال فسبوه وذهبوا به إلى الوالي وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالي لم قلت ذلك قال حاتم لا تعجل علي أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أي مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسألت عن قصر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقصور أصحابه قالوا إنما كانت لهم بيوت لاطئة وسمعت الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾¹ فأنتم بمن تأسيتم برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو بفرعون!؟

قال المصنّف: قلت: الويل للعلماء من الزّاهد الجاهل الذي يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً فان الذي أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشّرّ لا يأذن في شيء ثم يعاتب عليه فما أقبح الجهل ولو أنّه قال لهم لو قصر تم فيما أنتم فيه لتقتدي الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف والزّبير بن العوام² وعبد الله بن مسعود

¹ سورة الأحزاب (33)، الآية 21.

² الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله (594 م-*)، ولد سنة 28 قبل الهجرة، وأسلم وعمره خمس عشرة سنة، كان ممن هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، تزوّج أسماء بنت أبي بكر. كان خفيف اللّحية أسمر اللّون، كثير الشعر، طويلاً. كان من السّبعة الأوائل في الإسلام. أمته صفيّة بنت عبد المطّلب بن عبد مناف، عمّة رسول الإسلام. عمّته السيدة خديجة أمّ المؤمنين. شهد بدرًا وجميع غزوات الرسول مع الرسول، وكان ممن بعثهم عمر بن الخطّاب بمدد إلى عمرو بن العاص في فتح مصر، وقد ساعد ذلك المسلمين كثيرًا لما في شخصيّته من الشّجاعة والحزم. ولما مات عمر بن الخطّاب على يد أبي لؤلؤة كان الزّبير من السّنة أصحاب الشّورى الذين عهد عمر إلى أحدهم بشؤون الخلافة من بعده.

-رضوان الله عليهم- وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الداري¹ حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت.

والحديث بإسناد عن مالك بن دينار -رضي الله عنه- قال إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز.

حول ترجمته راجع: ابن قنفذ، *الوقيات*، ص10؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير؛ مروج الذهب للمسعودي؛ تاريخ الرسل والملوك للطبري؛ تاريخ العراق بين الاحتلالين-عباس العزاوي، بغداد 1954، الطبعة المنقحة، عام 1963 ج6، ص161.

¹ هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمه، وقيل: سواد بن خزيمه بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن أثمار بن لحم بن عدي بن عمرو بن سبأ، كذا نسبه ابن منده وأبو نعيم، يكنى: أبا رقية بابنته رقية، لم يولد له غيرها، وقال أبو عمر: خارجة بن سواد، ولم ينقل غيره، وقال هشام بن محمد: تميم بن أوس بن جارية بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نماره بن لحم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهو من بني الدار ذلك البطن المشهور من عشيرة أثمار (بنو نماره) من قبيلة لحم من بني مرة من قوم كهلان السبأيين القحطانيين من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. أمّا نسبه (الداري) فهي نسبة إلى جدّه السّابع الدار (من عبد الدار) ويعني خادم البيت المقدس لأنّه كان مقيما في أرض إبراهيم ، وكان قيّمًا على مقامه. أقام الصحابي تميم الداري بصحبة النبي محمّد -صلى الله عليه وسلّم- في المدينة المنورة وغزا معه، وقد شارك في عملية الجمع الأولى للقران الكريم وهو مكتوب على الرقاع، وقد كان أيضا حافظًا للقران الكريم ومواظبًا على قرائته، وكان يكثر ويطلب قراءة القران في الصلاة حيث انه كان يختم في ركعة، وكان كثير التهجد، وقام ليلة بأية حتى أصبح وهي قوله -تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ سورة الجاثية. تشرف الصحابي تميم الداري بملازمة النبي وقد سمع منه أحاديث كثيرة فحفظها ورواها وهو من الرواة الثقات عند رجال الحديث، وقد روى عنه عبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وغيرهم الكثير. خرج الإمام مسلم له في صحيحه وأبو داوود وابن ماجه والترمذي والنسائي. وذكر الإمام الطبراني في المعجم الكبير الجزء الثاني جميع الأحاديث التي تسند إلى تميم الداري وعددها 29 حديثًا.

وبإسناد عن حبيب الفارسي يقول والله أنّ الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب
الصبيان بالجوز.
قال المصنّف: قلت المراد بالقراء الزهاد وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق
للصواب وإليه المرجع والمآب.

...

•••

قال المصنّف: الصّوّفيّة من جملة الزّهاد وقد ذكرنا تلبّيس إبليس على الزّهاد إلّا أنّ الصّوّفيّة انفردوا عن الزّهاد بصفات وأحوال وتوسّموا بسمات. فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر والتصوف طريقة كان ابتداءؤها الزهد الكلي ثمّ ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرّقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهره من التّرهّد ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الرّاحة واللّعب. فلا بدّ من كشف تلبّيس إبليس عليهم في طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلّا بكشف أصل هذه الطّريقة وفروعها وشرح أمورها، والله الموفّق للصّواب.

قال المصنّف: كانت التّسبة في زمن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن ثمّ حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتحلّوا عن الدّنيا وانقطعوا إلى العبادة واتّخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلّفوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله -سبحانه وتعالى- عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه لمشابهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصّوّفيّة.

أنبأنا محمّد بن ناصر عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال قال أبو محمّد عبد الغني بن سعيد الحافظ قال: سألت وليد بن القاسم إلى أيّ شيء ينسب الصوفي

فقال كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله -عزّ وجلّ- وقطنوا الكعبة
فمن تشبه بهم فهم الصوفية.

قال عبد الغني فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخي تميم بن مر
وبالإسناد إلى الزبير بن بكار قال: كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر
بن أد بن طابخة ثم كانت في ولده وكان يقال لهم صوفة وكان اذا حانت الإجازة قالت
العرب أجز صوفة.

قال الزبير قال أبو عبيدة¹ وصوفة وصوفان يقال لكل من ولي من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان.
قال الزبير: حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال إنما سمي الغوث بن مرصوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده من بعده:

¹ هو عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي ويكنى بأبي عبيدة أمين هذه الأمة (أمة الإسلام). أبوه: عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وكان عبد الله هذا شقيا من أعداء الله قتله ابنه أبو عبيدة في غزوة بدر. أمه: أميمة بنت عثمان بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة بن وداعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أحد السابقين الأولين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية. وقال عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». يعد من أحد العشرة المبشرين بالجنة. قاد غزوة الخيبر عندما أرسله النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أميرا على ثلاث مائة وبضعة عشرة مقاتلا ومعهم قليل من الزاد وعندما نفذ الزاد راحوا يتصيدون الخبث أي ورق الشجر فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء لهذا سميت هذه الغزوة بغزوة الخبث. كما كان أحد القادة الأربعة الذين اختارهم أبو بكر لفتح الشام وهم: يزيد بن أبي سفيان وشرجيل بن حسنة وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح. عينه عمر بن الخطاب قائدا عاما على جيوش الشام. لاقى أباه مع صف المشركين في بدر فنازله وقتله. شارك في معركة اليرموك وقد أمره الخليفة عمر بن الخطاب على الجيش بدلا من خالد بن الوليد ولكنه أخفى أمر الأمانة عن خالد إلى أن انتهى خالد من المعركة محزرا النصر، ثم أعلمه بأمر عمر فسأله خالد: «يرحمك الله أبا عبيدة، ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟» فأجاب أبو عبيدة: «إني كرهت أن أكسر عليك حريك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا في الله أخوة». مات بطاعون عمواس ودفن في قرية صغيرة حملت اسمه بالغور في الأردن وكان عمره 58 سنة.

انظر ترجمته في: المسند الصحيح/2419 - صحيح؛ أبو عبيدة بن الجراح، سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي.

قال الزبير وحدثني إبراهيم بن المنذري عن عبد العزيز بن عمران قال أخبرني عقاب بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله علي أن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى فقالت ما صار ابني إلا صوفة فسمي صوفة وكان الحج وإجازة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة.

فلم تزل الإجازة في عقب صوفة حتى اخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى اخذتها قريش.

قال المصنّف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله - عزّ وجلّ - وملازمة الفقر، فإنّ أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما لهم أهل ولا مال، فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقيل أهل الصفة".

والحديث بإسناد عن الحسن، قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير وكان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يأتيهم فيقول: "السلام عليكم يا أهل الصفة"، فيقولون: "وعليك السلام يا رسول الله"، فيقول: "كيف أصبحتم؟"، فيقولون: "بخير يا رسول الله".

وإسناد عن نعيم بن الجمر عن أبيه عن أبي ذر قال كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيأمر كلّ رجل فينصرف برجل، فيبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعشائه فنتعش فإذا فرغنا قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ناموا في المسجد".

قال المصنّف: وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوّفي إلى أهل الصفة غلط، لأنّه لو كان كذلك لقليل صفي وقد ذهب إلى أنّه من الصّوفانية، وهي بقلة رعناء قصيرة، فنسبوا إليها لاجتزازهم بنبات الصّحراء.

وهذا أيضًا غلط لأنّه لو نسبوا إليها لقليل صوفاني.

وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في مؤخره كأنّ الصّوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق وقال آخرون بل هو منسوب إلى الصّوف وهذا يحتمل والصّحيح الأوّل.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين.

ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أنّ التّصوّف عندهم رياضة النّفس ومجاهدة الطّبع برده عن الأخلاق الرّذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدّق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدّنيا والثّواب في الآخرة.

والحديث بإسناد عن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمّد عن التّصوف، فقال: الخروج عن كلّ خلق رديء والدّخول في كلّ خلق سيّئ.

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمّد بن خفيف يقول قال روم كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطّائفة على الحقائق وطالب الخلق كلّهم أنفسهم بظواهر الشّرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الروع ومداومة الصّدق.

قال المصنّف: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلمّا مضى قرن زاد طعمه في القرن الثّاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخّرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنّه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل. فلمّا أطفأ مصباح العلم عندهم، تحبّطوا في الظّلمات.

فمنهم من أرادته أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقله علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوّف وأفردوه بصفات ميزوه بما من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة.

ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سمى العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة، فادعى عشق الحق والهيمن فيه فكأنهم تخابوا شخصا مستحسن الصورة فهموا به وهؤلاء بين الكفر والبدعة. ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.

وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا.

وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنّف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم.

وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانسائطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال المصنّف: وصنّف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى-.

وصنّف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد وردد فيه قول قال بعض المكاشفين: وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله -عزّ وجلّ- يتجلى في الدنيا لأوليائه.

أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف قال: دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين¹ بن سالم، فأتى إلى مقالته وقدم بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه فحفظ عنه أنّه قال ليس على المخلوق أضر من الخالق فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب وصنف أبو طالب المكي كتابا سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكّرة مستبشرة في الصفات.

قال المصنّف: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنّف لهم كتاب الحلية وذكر في حدود التصوف أشياء منكّرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة -رضي الله عنهم-، فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وبرايم بن أدهم ومعرفا الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنّهم من الزهاد.

فالتصوّف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيري² كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط

¹ في نسخة أبي الحسن.

² هو الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان عبد الملك بن طلحة القشيري، أحد مشاهير الدّنيا بالفضل والعلم والزهد، وأولاده وأهله كلّهم فضلاء مشهورين.

والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصّحو والسكر والذوق والشّرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللّوائح والطّواع واللّوامع والتكوّين والتمكّين والشّريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التّخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه وجاء محمّد بن ظاهر المقدسي فصنّف لهم صفة التّصوف، فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله -تعالى-.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة قال: وصنّف كتابًا في جواز النّظر إلى المراد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها فقيل له: تصلي عليها فقال: صلى الله عليها وعلى كلّ مليح.

حول ترجمته راجع: اللّباب في تهذيب الأنساب، ج3/ص38.

قال شيخنا ابن ناصر: وليس ابن طاهر بمن يحتج به وجاء أبو حامد الغزالي¹ فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رأهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله - عز وجل - ولم يرد هذه المعرفات وهذا من جنس كلام الباطنية.

وقال في كتابه المنفصَح بالأحوال إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

¹ هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي. وُلد سنة 450 هـ. -وقيل 451 هـ.- بالطابران. اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الزاذكاني؛ ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني. ولم يزل ملازمًا له إلى أن توفّي. فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقي الوزير نظام الملك الذي فوّض إليه التدريس في مدرسته النظامية بمدينة بغداد، وذلك في جمادى الأولى سنة 484 هـ. ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة 488 هـ. وسلك طريق الزهد والانقطاع. وبعد حلّ وترحال عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنّف الكتب العديدة، منها: الوسيط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه، ومنها إحياء علوم الدين، وله في أصول الفقه المستصفي، وله المنحول والمتحل في علم الجدل، وله تحافت الفلاسفة، ومحكّ النظر ومعيّار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقّيقّة القولين... ثم أُلزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بما بالمدرسة النظامية، ولكنّه ما لبث أن ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جوازه، إلى أن توفّي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة 505 هـ. بالطابران. حول ترجمته راجع: وقّيات الأعيان، ج4/ص210 إلى ص219؛ طبقات السبكي، ج4/ص101؛ تبين كذب المفترى، ص291 إلى ص306؛ المنتظم، ج9/ص168؛ طبقات الحسيني، ص69. انظر أيضا: سيرة الغزالي لعبد الكريم العثمان (دار الفكر-دمشق)؛ الحقيقة في نظر الغزالي لسليمان دنيا (دار المعارف-مصر)؛ الغزالي لكارا دي فو، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة-1959)؛ كتاب مهرجان الغزالي في دمشق 1961؛ مؤلّفات الغزالي لعبد الرحمان بدوي (القاهرة-1961).

قال المصنّف: وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسني والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسوه من طريقة القوم وإتّما استحسوها، لأنّه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصّورة ولا كلامًا أرق من كلامهم وفي سير السلف نوع خشونة. ثمّ أنّ ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنّها طريقة ظاهرها النظافة والتّعبد وفي ضمنها الرّاحة والسّماع والطباع تميل إليها وقد كان أوائل الصّوفيّة ينفرون من السّلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء.

وجمهور هذه التصانيف التي صنّفت لهم لا تستند إلى أصل وإتّما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونها وقد سمّوها بالعلم الباطن. والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب إسحاق بن حية قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوسواس والخطرات فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون. قال المصنّف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي التّون نحو هذا وروينا عن أحمد بن حنبل أنّه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له لا أرى لك أن تجالسهم وعن سعيد بن عمرو البردعي قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إيّاك وهذه الكتب.

هذه الكتب كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنّك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب الله -عزّ وجلّ- عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أنّ مالك بن أنس وسفيان الثّوري والأوزاعي والأئمّة المتقدمة صنّفوا هذه الكتب في الخطرات والوسواس.

وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرّة بالحارث المحاسبي ومرّة بعبد الرحيم الديلمي ومرّة بجاتم الأصم ومرّة بشقيق ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع. أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمى قال: أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري؛ فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم، وكان رئيس مصر؛ وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة.

قال السلمى: وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأهم يكلمونه وشهد قوم على أحمد بن أبي الخواري أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول لي معراج كما كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- معراج فأخرجوه من بسطام وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام.

قال السلمى: وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التستري أنه يقول إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجروه أحمد بن حنبل فاختلفى إلى أن مات.

قال المصنف: وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البليّة يعني في حوادث كلام جهم ذلك جالس فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط أنظر أيّ يوم يثب على الناس.

قال المصنّف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة قال المصنّف وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلّة علمهم.

وإسناد عن جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الداراني قال ربما تقع في نفسي النكته من نكت القوم أيّاما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة.

وإسناد عن طيفور البسطامي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي أبي قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجردونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

وإسناد عن أبي موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامي قال: من ترك قراءة القرآن والتشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعبادة المرضى وأدعى بهذا الشأن فهو مبتدع. وإسناد عن عبد الحميد الحبلي يقول سمعت سريّا يقول من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط.

وعن الجنيد أنه قال مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة. وقال أيضا علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

وقال أيضًا: ما أخذنا التصوف عن القليل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، لأنّ التّصوّف من صفاء المعاملة مع الله - سبحانه وتعالى - وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة عرفت نفسي في الدّنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نھاري.

وعن أبي بكر الشفاف من ضيع حدود الأمر والنهي في الظّاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن.

وقال الحسين التّوري لبعض أصحابه من رأيته يدعي مع الله -عزّ وجلّ- حالة
تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقرّبه ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد
لها حفظ ظاهر فاتمه على دينه.
وعن الجريري قال أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة
ويكون العلم على ظاهره قائماً.
وعن أبي جعفر قال من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتّهم
خاطره، فلا تعده في ديوان الرّجال.

قال المصنّف: وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم
غلطات لبعدهم عن العلم.
فإن كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الردّ عليهم إذ لا محاباة في الحقّ وإن لم يصح
عنهم حدّثنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر فأما المشبهون
بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة.
ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أنّنا لم نقصد ببيان غلط
الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخّل وما علينا من القائل والفاعل وإمّا نوّدي
بذلك أمانة العلم.
وما زال العلماء يبين كلّ واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحقّ لا لإظهار
عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول كيف يرّد على فلان الزاهد المتبرّك به، لأنّ
الانقياد إمّا يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص، وقد يكون الرّجل من
الأولياء وأهل الجنّة وله غلطات، فلا تمنع منزلته بيان زلّله.

واعلم أنّ مَنْ نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح -صلوات الله عليه- من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الإلهية ولو نظر إليه، وأنّه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقّه.

وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي بإسناد إلى يحيى بن سعيد قال: سألتُ شعبة، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتّهم في الحديث، فقالوا جميعاً: يبين أمره.

وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلظه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه، وقال عن سري السقطي الشيخ المعروف بطيب المطعم. ثمّ حكى له عنه أنّه قال أن الله -عزّ وجلّ- لما خلق الحروف سجّدت الباء فقال: نفروا النَّاس عنه سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد.

عن أبي عبد الله الزملي قال: تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه فيينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعم أبو حمزة وقال لبيك لبيك فنسوه إلى الزندقة وقالوا حلوي زنديق وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق.

وإسناد إلى أبي بكر الفرغاني أنّه قال كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلوي ثمّ قال أبو عليّ وإمّا جعله داعياً من الحق أيقظه للذكر.

وعن أبي عليّ الروزباري قال أطلق على أبي حمزة أنه حلوي وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول.

قال السراج وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهب أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدي فغضب الحارث المحاسبي وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك قال أبو حمزة إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذي أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد.

وقال السراج: وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراط ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله ففقدس الله نفسه.

قال: وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة.

قال: وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم.

وقال السراج: ذكر عن أبي بكر محمد بن موسى الفرغاني الواسطي أنه قال: من ذكر افتري ومن صبر اجترى وإياك أن تلاحظ حبيبا أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا فقليل له أولا أصلي عليهم قال: صلى عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك مقدار.

قال السراج: وبلغني أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق -عز وجل- اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات، ومنهم من قال حال في المستحسنات قال: وبلغني عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة.

قال السراج: وبلغني أن أبا الحسين التوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله -عز وجل- وهو يعشقني فقال التوري سمعت الله يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾¹.

¹ سورة المائدة (5)، الآية 54.

وليس العشق بأكثر من المحبة قال القاضي أبو يعلى: وقد ذهب الحلوية¹ إلا أن الله -عز وجل- يعشق.

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه:

- أحدها: من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح.
- والثاني: أن صفات الله -عز وجل- منقولة، فهو يحب ولا يُقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يُقال يعرف.
- والثالث: من أين له أن الله -تعالى- يحبه فهذه دعوى بلا دليل، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قال إني في الجنة فهو في النار".

وعن أبي عبد الرحمن السلمي حكى عن عمرو المكي أنه قال: كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقتة.

وعن محمد بن يحيى الرازي قال: سمعتُ عمرو بن عثمان يلعن الخلاج ويقول لو قدرتُ عليه لقتلته بيدي فقلتُ: بأي شيء وجد عليه الشيخ، فقال: قرأتُ آية من كتاب الله -عز وجل- فقال: يمكنني أن أقول أو أولف مثله وأتكلم به.

¹ الحلول والاتحاد كلمتان يُشار بهما عند الصوفية إلى حالة الفناء الصوفية التي تحصل لدى البعض، فالحلول يعني حلول الخالق في المخلوق، والاتحاد يعني اتحاد المخلوق بالخالق. وبين هذين الاصطلاحين عند الصوفية وبينهما عند الفلاسفة فروق دقيقة، أهمها أنها حالة ذوقية عند الصوفية وعقلانية عند الفلاسفة. يقول أبو حامد الغزالي: "ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه. وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ؛ بل الذي لا يسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول: وكان ما كان مما لستُ أذكره، فظنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخير".
انظر: كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي، ص39-40 وص42 إلى ص59.

وبإسناد عن أبي القاسم الرّازي يقول قال أبو بكر بن ممشاد قال حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلّاة فما كان يفارقها لا باللّيل ولا بالنّهار، ففتّشوا المخلّاة، فوجدوا فيها كتابًا للحلاج عنوانه من الرّحمن الرّحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه فقال هذا خطّي وأنا كتبته فقالوا كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية فقال ما ادعي الرّبوبيّة ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلى الله -تعالى- واليد فيه آلة فقيل له هل معك أحد فقال: نعم ابن عطاء وأبو محمّد الجريري وأبو بكر الشبلي وأبو محمّد الجريري يتستّر والشبلي يتستّر فإن كان فابن عطاء فأحضر الجريري وسئل فقال قائل هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلي، فقال: من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله.

وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت عيسى بن بردل القزويني، وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات:

سبحان من أظهر ناسوته	سرّ سنا لاهوته الثّاقب
ثمّ بدا في خلقه ظاهرًا	في صورة الأكل والشّارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشّيخ: على قائله لعنة الله قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين ابن منصور قال إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلاّ أنّه ربّما يكون متقولاً عليه وبإسناد عن علي بن الحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمّد بن زنجي عن أبيه أنّ ابنه السمري أدخلت علي حامد الوزير فسألها عن الحلاج، فقالت: حملني أبي إليه فقال قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدي في آخر التّهار إلى السطح وقومي على الرّماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلي بوجهك واذكري لي ما أنكرت به منه فأبى أسمع وأرى قالت وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فانتبهت مذعورة لما كان منه، فقال: إنّما جئتك لأوقظك للصلاة فلمّا نزلنا قالت ابنته: اسجدي له فقلت: أو يسجد أحد لغير الله فسمع كلامي فقال: نعم إله في السّماء وإله في الأرض.

قال المصنّف: اتّفق علماء العصر على إبّاحة دم الحلاج فأوّل من قال إنّّه حلال الدّم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء وإمّا سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال: لا أدري ما يقول والإجماع دليل معصوم من الخطأ.

وياسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ان الله أجازكم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم".

وياسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال: سمعتُ والدي يقول: سمعتُ أبا بكر محمّد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول إن كان ما أنزل الله -عزّ وجلّ- على نبيّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حقّاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه.

قال المصنّف: وقد تعصّب للحلاج جماعة من الصوّفيّة جهلاً منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء.

وياسناد عن محمّد بن الحسين النيسابوري قال: سمعتُ ابراهيم بن محمّد النّصر ابادي كان يقول إن كان بعد النّبیین والصدّيقين موحد فهو الحلاج قلت وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعدا عن معرفة النقل وقد جمعت في أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال.

وياسناد عن أبي نعيم الحافظ قال: سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكي أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوّفيّة إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النوري في جماعة، فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فتقدّم النوري مبتدراً إلى السيّاف ليضرب عنقه، فقال له السيّاف: ما دعاك إلى البدار قال: آثرت حياة أصحابي على حياتي هذه اللّحظة فتوقّف السيّاف ورفع الأمر إلى الخليفة، فردّ أمرهم إلى قاضي القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم.

وياسناد إلى أبي العباس أحمد بن عطاء قال: كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة، فقال: ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النوري وأبو حمزة الصوّفيّة وأبو بكر الدقاق وجماعة من أقران هؤلاء.

واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين التّوري فقال له السيف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع قال: أحببت أن أوتر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضي فأطلقوا.

قال المصنّف: ومن أسباب هذه القصّة قول النوري أنا أعشق الله والله يعشقني فشهد عليه بهذا ثم تقدم النوري إلى السيف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضًا. وإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقي قال: سمعت الرقي يقول كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبي سليمان فقال الضيافة فقلت لابني إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل في كل ثلاثة أيام أكلة فسمته المقام فقال الضيافة ثلاثة أيام فقلت له لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتي عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين فقال رأيت شيخا يقال له أبو شعيب المقفع مبتلي فأقمت عنده أحدمه سنة فوقع في نفسي أن أسأله أي شيء كان أصل بلائه.

فلما دنوت منه ابتدأني قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعينك فضبرت حتى تم لي ثلاث سنين فقال في الثالثة لا بدّ لك فقلت له ان رأيت فقال بينما أنا أصلي بالليل إذ لاح لي من المحراب نور فقلت: أحسأ يا ملعون فإن ربي -عزّ وجلّ- غني عن أن يبرز للخلق ثلاث مرّات قال ثمّ سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب فقلت لبيك فقال تحبّ أن أقبضك في وقتك أو نجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به في عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويدياى ورجلاى قال: فمكثتُ أحدمه تمام اثنتي عشرة سنة فقال يوما من الأيام ادن مني فدنوت منه فسمعت أعضائه يخاطب بعضها بعضا أبرز حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقلّدس ثم مات.

قال المصنّف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله -عزّ وجلّ- فلما أنكر عوقب وقد ذكرنا أن قوما يقولون أن الله -عزّ وجلّ- يرى في الدّنيا.

وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي في كتاب المقالات قال: قد حكى قوم من المشبّهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار في الدّنيا وأنهم لا ينكرون أن

يكون بعض من تلقاهم في السكك وإنَّ قومًا يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته
وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب
الوساوس وأصحاب الخطرات قال المصنّف وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان.

قال المصنّف: قد ذكرنا تلبسه على العباد في الطهارة إلا أنّه قد زاد في حقّ الصّوفيّة على الحدّ فقوي وساوسهم في استعمال الماء الكثير حتّى بلغني أنّ ابن عقيل دخل رباطاً فتوضأ فضحكوا لقلّة استعماله الماء وما علموا ان من أشيع الوضوء برطل من الماء كفاه.

وبلغنا عن أبي حامد الشّيرازي أنّه قال لفقير من أين تتوضأ فقال من النّهر، بي وسوسة في الطهارة قال كان عهدي بالصوفية يسخرون من الشّيطان والآن يسخر بهم الشيطان ومنهم من يمشي بالمداس على البواري وهذا لا بأس به إلا أنّه ربّما نظر المبتدئ إلى من يقتدي به فيظنّ ذلك شريعة وما كان خيار السّلف على هذا. والعجب ممّن يبالغ في الاحتراز إلى هذا الحد متّصفاً بتنظيف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق.

قال المصنّف: وقد ذكرنا تلبيسه على العباد في الصلّاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد.

وقد ذكر محمّد بن طاهر المقدسي أن من سنتهم التي ينفردون بها ويتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتّوبة واحتج عليه بحديث تمامة بن أثال أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره حين أسلم أن يغتسل.

قال المصنّف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافرا فاسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل.

وأما صلاة ركعتين، فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس في حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه وهل هذ إلا ابتداع في الواقع سمّوه سنة.

ثمّ من أقبح الأشياء قوله إنّ الصّوفيّة ينفردون بسنن، لأنّها إن كانت منسوبة إلى الشّرع، فالمسلمون كلّهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها؛ فما وجه انفراد الصّوفيّة بها؛ وإن كانت بأرائهم، فإنّما انفردوا بها، لأنّهم اخترعوها.

قال المصنّف: أمّا بناء الأريطة فإن قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد وهؤلاء إذا صحّ قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

- أحدها: أنّهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنیان أهل الإسلام المساجد.
- والثاني: أنّهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها.
- والثالث: أنّهم أفتوا أنفسهم نقل الخطأ إلى المساجد.
- والرابع: أنّهم تشبهوا بالنصارى بإنفرادهم بالأديرة.
- والخامس: أنّهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى التّكاح.
- والسادس: أنّهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد.

فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة¹ ومناخا للبطالة وأعلاما لإظهار الزّهد.

وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأريطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة.

وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء البارد فأين جوع بشر وأين ورع سرى وأين جد الجنيد.

وهؤلاء أكثر زماهم ينقضون في التفكّة بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زمرانقته فغلبت عليه السّوداء فيقول حدثني قلبي عن ربي.

¹ الكوبة: الرد وقيل الطبل.

ولقد بلغني أنّ رجلاً قرأ القرآن في رباط فمنعوه وأن قوما قرأوا الحديث في رباط
فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق.

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره، فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر، وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم.
فأما الآن، فقد كفى إبليس هذه المؤنة، فإنّ أحدهم إذا كان له مال أنفقه تذييراً وضياعاً.

والحديث بإسناد عن محمد بن الحسين السلمي قال: سمعتُ أبا نصر الطوسي قال: سمعتُ جماعة من مشايخ الري يقولون ورث أبو عبد الله المقري من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار، فخرج عن ذلك كلّه وأنفقه على الفقراء.
وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد أدخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة، فتصدق به.

أما إذا أخرج المال الحلال كلّه ثمّ احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الأخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه.

ولستُ أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإتّما العجب من أقوام لهم عقل وعلم وكيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع.
وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلاً، وشيّد أبو حامد الغزالي ونصره؛ والحارث عندي أعذر من أبي حامد، لأنّ أبا حامد كان أفقه، غير أن دخوله في التصوّف أوّجب عليه نصرة ما دخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد أزريت بمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والمرسلين وزعمت أن محمداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعة خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة وابن عوف في القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتا قال: ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك.

قال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم إنطلق يطلب كعباً فقبل لكعب إن أبا ذر طلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر، فقال له أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوماً، فقال: "الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا".

ثم قال: يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج.

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحب في آثارهم حبوا وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به دائماً، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها؛ وقد بلغنا أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة".

وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصّحابة وأين الحلال فتجمعه.

ويحك! إني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرّجل يجمع المال لأعمال البرّ، فقال: تركه أبرّ منه.

وبلغنا أنّ بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حالاً فأصابها فوصل بما رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنّف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيذه وقواه بحديث ثعلبة¹ فإنه أعطى المال فمنع الرّكاة.

قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله -عزّ وجل-، فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتّى لا يبقى له إلّا قدر ضرورته فما بقي له درهم يلتفت إليه قلبه، فهو محجوب عن الله -عزّ وجل-.

¹ ثعلبة بن أبي مالك القرظي، يكتى أبا يحيى، وهو إمام بني قريظة: ولد على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال محمد بن سعد: قدم أبو مالك من اليمن، وهو على دين اليهودية، فتزوج امرأة من بني قريظة، فنسب إليهم، وهو من كندة. قال يحيى بن معين: له رؤية، وقال مصعب الزبيري: ثعلبة بن أبي مالك، سنة سن عطية القرظي وقصته كقصته، تركا جميعا فلم يقتلا. روى محمد بن إسحاق، عن أبي مالك بن ثعلبة بن أبي مالك عن أبيه أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أتاه أهل مهزور، فقضى أن الماء إذا بلغ الكعبين لم يجس الأعلى. أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء بن سعد بإسناده إلى أبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد كتابة قال: حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن صفوان بن سليم، عن ثعلبة بن أبي مالك أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا ضرر ولا ضرار"، وأنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قضى في مشارب النخل بالسيل للأعلى على الأسفل، يشرب الأعلى، ويروي الماء إلى الكعبين، ويسرح الماء إلى الأسفل، وكذلك حتّى تنقضي الحوائط أو يفنى الماء. أخرجه الثلاثة. ومهزور: واد فيه ماء؛ اختصم أهل البساتين فيه، فقضى رسول الله بذلك.

قال المصنّف: وهذا كلّه بخلاف الشّرع والعقل، وسوء فهم للمُرَاد بالمال.

أمّا شرف المال، فإنّ الله -عزّ وجلّ- عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمي الشّريف فهو شريف، فقال -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا¹﴾ ونهى -عزّ وجلّ- أن يسلم المال إلى غير رشيد، فقال: ﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ²﴾.

وقد صحّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- أنّه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد³ لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكفنون النَّاسَ وقال: ما نفعني مال كمال أبي بكر.

والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص قال بعث إلي رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- فقال: "خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائني" فأتيته فقال: "أني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة" فقلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكي أسلمت رغبة في الإسلام فقال: "يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح".

¹ سورة النساء (4)، الآية 5.

² سورة النساء (4)، الآية 6.

³ هو سعد بن أبي وقاص مالك. أحد الصحابة العشرة وآخرهم وفاة. توفي سنة خمس وخمسين، وسنّه أربع وثمانون سنة.

حول ترجمته راجع: ابن قنفذ، الوقيّات، ص10.

والحديث بإسناد عن أنس بن مالك أنّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعا له بكلّ خير وكان في آخر دعائه أن قال: "اللهم أكثر ماله وولده وبارك له".
وإسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبید الله بن كعب بن مالك قال: سمعتُ كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال: فقلتُ يا رسول الله أن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله -عزّ وجلّ- وإلى رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: "أمسك بعض مالك فهو خير لك".

قال المصنّف: فهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوّفة من أنّ إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكّل ولا ينكر أنّه يخاف من فتنة وأنّ خلقًا كثيرًا اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعزّ وسلامة القلب من الافتنان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنة. فأما كسب المال، فإنّ من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه.

وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات.

وقد كان نيات خلق كثير من الصّحابة -رضي الله عنهم- أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته.
وإسناد عن ابن عمر أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أقطع الزبير¹ حظه فرسه بأرض يقال لها ترثر، فأجرى فرسه حتّى قام ثمّ رمى سوطه فقال أعطوه حيث بلغ السّوط.

وكان سعد بن عبادة يدعو، فيقول: اللهمّ وسّع عليّ.

¹ الحضر بضم المعجمة عدو الفرس.

قال المصنّف: وأبلغ من هذا أن يعقوب -عليه الصّلاة والسّلام- لما قال له بنوه ﴿وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾¹ مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم وأنّ شعيبا طمع في زيادة ما يناله فقال: ﴿فَإِنْ أُنْتَمَتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾²، وأنّ أيّوب -عليه السّلام- لما عوفي نشر عليه رجل³ جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه فقيل له: أما شبعت؟ قال: يا ربّ من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فاذا قصد به الخير كان خيرا محضاً.

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدلّ على الجهل بالعلم.

وقوله إنّ الله -عزّ وجلّ- نهى عباده عن جمع المال، وأنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- نهى أمته عن جمع المال، فهذا محالّ. إنّما التّهي عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله.

وما ذكره من حديث كعب وأبي ذرّ، فمحالّ من وضع الجهال وخفاء صحّته عنه الحقّه بالقوم. وقد روي بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت.

وإسناد عن مالك بن عبد الله الزيّادي عن أبي ذرّ أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له ويده عصاه فقال عثمان يا كعب إن عبد الرّحمان توفي وترك مالا فما ترى فيه فقال إن كان يصل فيه حقّ الله -تعالى- فلا بأس فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- يقول: "ما أحبّ لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني أذرّ خلفي ست أواقٍ" أنشدك بالله يا عثمان أسمعته هذا ثلاث مرات قال نعم".

قال المصنّف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه قال يحيى لا يحتجّ بحديثه والصّحيح في التّاريخ أنّ أبا ذرّ توفيّ سنة خمس وعشرين وعبد الرّحمن توفيّ سنة اثنتي وثلاثين فقد عاش بعد أبي ذرّ سبع سنين.

¹ سورة يوسف (12)، الآية 65.

² سورة القصص (28)، الآية 27.

³ هو الجراد الكثير.

ثم لفظ ما ذكره من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع ثم كيف تقول الصحابة -رضي الله عنهم- إنا نخاف على عبد الرحمن أو ليس الإجماع منعقدا على إباحة جمع المال من حله فما وجه الخوف مع الإباحة أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه هذا قلة فهم وفقه ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسير سير الصحابة فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بمار في كل بمار ثلاثة قناطير والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ومائتي ألف وخلف ابن مسعود -رضي الله عنه- تسعين ألفا وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبوا حبوا يوم القيامة فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث أو كان هذا منامًا وليس هو في اليقظة أعوذ بالله من أن يحب عبد الرحمن في القيامة أفترى من يسبق إذا حبًا عبد الرحمن بن عوف، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى.

ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان وقال البخاري ربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الزاوي: لا يحتج به، وقال الدارقطني: ضعيف.

أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس -رضي الله عنه- قال بينما عائشة -رضي الله عنها- في بيتها سمعت صوت في المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء.

قال: وكانت سبعمائه بعير فارتجت المدينة من الصوت فقالت عائشة -رضي الله عنها-: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا". فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فقال: إن استطعت لأدخلتها قائما، فجعلها بأقنابها وأحمالها في سبيل الله -عز وجل-.

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء والحديث الذي ذكره عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أسف على دنيا فاتته الخ محال ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

وقوله هل تجد في دهرك حلالا فيقال له وما الذي أصاب الحلال والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "الحلال بين والحرام بين" أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت في شبهة هذا يبعد وما طولبنا به بل لو باع المسلم يهوديًا كان الثمن حلالا بلا شك. هذا مذهب الفقهاء.

وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرتة ما حكى، وكيف يقول إنَّ فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ولو أدعى الإجماع على خلاف هذا لصح ولكن تصوفه غير فتواه.

وعن المرزوي قال: سمعتُ رجلاً يقول لأبي عبيد الله إني في كفاية فقال الزم السوق تصل به الرّحم وتعود المرضى.

وقوله: ينبغي للمريد أن يخرج من ماله قد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه وإلا فلا وجه لذلك وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب.

وأما الأنبياء فقد كان لإبراهيم - عليه الصلّاة والسّلام - زرع ومال ولشعيب ولغيره.

وكان سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضي به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثاً لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة.

وقد خلف سفيان الثوري - رضي الله عنه - مائتين وكان يقول المال في هذا الزّمان سلاح وما زال السّلف يمدحون المال ويجمعونه للتّوائب وإعانة الفقراء وإتّما تجافاه قوم منهم إيثارا للتشاعل بالعبادات وجمع الهمم ففنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أنّ التقلّل منه أولى قرب الأمر ولكنته زاحم به مرتبة الإثم.

واعلم أنّ الفقر مرض فمن ابتلى به وصبر أثيب على صبره ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة، والنعمة تحتاج إلى شكر؛ والغني، وإن تعب وخاطر كالمفتي؛ والمجاهد والفقير كالمعتزل في زاوية. وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب سنن الصّوّقيّة باب كراهيّة أن يخلف الفقير شيئاً، فذكر حديث الذي مات من أهل الصفة وخلف دينارين فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "كيتان".

قال المصنّف: وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقير كان يراحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال كيتان. ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لسعد: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون الناس" ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً.

وقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: حثّ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عليّ الصّدقة، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "وما أبقيت لأهلك" فقلت مثله فلم ينكر عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. قال ابن جرير الطّبري: وفي هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوّفة أن ليس للإنسان إدخار شيء في يومه لغده وإن فاعل ذلك قد أساء الظنّ برّبّه ولم يتوكّل عليه حقّ توكّله.

قال ابن جرير وكذلك قوله -عليه الصلّاة السّلام-: "اتّخذوا الغنم فإنها بركة" فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوّفة أنّه لا يصحّ لعبد التوكّل على ربّه إلاّ بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسي كذلك.

ألا ترى كيف ادّخر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأزواجه قوت سنة؟

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم في إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روي في طريق مكة فبدد المال الذي معه.

والحديث بإسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمي بذهب من معدنهم فقصى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة فأتى بها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت قال: فحماه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأسه فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته ثم أقبل عليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: "يعد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس وإنما الصدقة عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول".

وقد رواه أبو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال كنا عند رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب، فقال: "يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يأتي أحدكم بما يملك

فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى". وفي رواية أخرى: "خذ عنا مالك لا حاجة لنا به.

وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: "دخل رجل المسجد، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يطرحوا ثيابا، فطرحوا فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة فجاء فطرح أحد الثوبين، فصاح به: "خذ ثوبك".

قال المصنف: ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله ما لا ينفقه عليهم، فرد الرسول وقال يا أبا بكر أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه فقال للرسول: إرجع إليه وقل له: الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك وأطلب الحق من الحق، فبعث إليه بمائة دينار.

قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله فقد أكف الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه.

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها وقال: ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال: سمعت الجنيد يقول دقت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا، فقال: ما كان لكم شغل في الله -عز وجل- يشغلكم عن المحيي إلي، فقلت له: إذا كان مجيئاً اليك من شغلنا به فلم نقطع عنه فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده؛ ثم أجابني فأعطى التوكل حقه؛ ثم قال: استحيت من الله أن أجيئك وعندني شيء.

قال المصنّف: لو فهم هؤلاء معنى التّوكّل وأنه ثقة القلب بالله -عزّ وجلّ- لا إخراج صور المال ما قال هؤلاء هذا الكلام ولكن قلّ فهمهم.
وقد كان سادات الصّحابة والتّابعين يتّجرون ويجمعون الأموال، وما قال مثل هذا أحدٌ منهم.

وقد روينا عن أبي بكر الصّدّيق -رضي الله عنه- قال: حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالي.
وهذا القول منكر عند الصّوفيّة يخرجون قائله من التّوكّل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطّعام يضري.

وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرّازي قال: حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللّبن، وقال لي: كل، فقلت: لا أكله فإنّه يضري. فلما كان بعد أربعين سنة، صليتُ يوماً خلف المقام ودعوتُ الله -عزّ وجلّ-.
وقلتُ: "اللّهم إنّك تعلم أنّي ما أشركت بك طرفة عين فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول ولا يوم اللّبن.

قال المصنّف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها واعلم أن من يقول هذا يضري لا يريد أن يفعل ذلك الضّرر بنفسه.
وإنما يريد أنّه سبب الضّرر كما قال الخليل -صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾¹.
وقد صحّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- أنّه قال: "ما نفعني مال كمال أبي بكر".

وقوله: ما نفعي مقابل لقول القائل ما ضرّني.
ويصحّ عنه أنّه قال: "ما زالت أكلة خبير تعادني فهذا أو أن قطعت أجهري"².
وقد ثبت أنّه لا رتبة أولى من رتبة النّبوة.

¹ سورة إبراهيم (14)، الآية 36.

² الأهر عرق في الظّهر فإذا انقطع لم تبق معه حياة وتعادي بالدّال المشدّدة تأتي في المرّة بعد المرّة.

وقد نسب الترفع إلى المال والضّرر إلى الطّعام فالتحاشي عن سلوك طريقه -صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تعاط على الشريعة، فلا يلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا.

قال المصتَف: وقد بيّنا أنّه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها
وذكرنا أنّهم قصدوا بذلك الخير إلا أنّهم غلطوا في هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم
بذلك الشرع والعقل.

فأما متأخروهم، فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيتارا للراحة
وحبًا للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد
ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب.

ومعلوم أنّ الصدقة لا تحلّ لغني ولا لذي مرة¹ سوى ولا يباليون من بعث إليهم،
فربما بعث الظالم والماكس، فلم يردّوه؛ وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية
ذلك بالفتوح.

ومنها أنّ رزقنا لا بدّ أن يصل إلينا؛ ومنها أنّه من الله، فلا يردّ عليه ولا نشكر
سواه.

وهذا كلّه خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه فإنّ
النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا
يعلمهنّ كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه".

وقد قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- من أكل الشبهة وكان الصالحون لا
يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في ماله شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافا
وتنزها.

¹ المرة بكسر الميم القوة.

وعن أبي بكر المرزوي قال: ذكرت لأبي عبد الله رجلا من المحدثين فقال -رحمه الله- أي رجل كان لولا خلة واحدة ثم سكت ثم قال ليس كلّ الخلال يكملها الرجل، فقلت له: أليس كان صاحب سنة؟ فقال: "العمري لقد كتبت عنه ولة خلة واحدة كان لا يبالي ممن أخذ".

قال المصنّف: ولقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئا فقبله فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف.
ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا، فإنّ النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى" واليد العليا هي المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال: العليا هي الآخذة.
قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلاّ تأويل قوم استطابوا السؤال.

قال المصنّف: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أيّ وجه ويفتشون عن مطاعهم.
وسئل أحمد بن حنبل عن السري السقطي، فقال: الشيخ المعروف بطيب المطعم.
وقال السري صحبت جماعة إلى الغزو فآكترينا دارا فنصبت فيها تنورا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور.

فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يباليون من أين أخذوا فإنه يعجب ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكن حتى تطوفون على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلوات ثم لا يكفيه حتى يأخذ فمن كان ثم لا

يكفيه حتّى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنتهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها
والله إتكم أضّر على الإسلام من كلّ مضرّ.

قال المصنّف: وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثمّ
ينقسمون فمنهم من يدعي الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدّعوى مضادّة
للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيّقون على الفقراء بأخذهم
الرّكاة ولا يجوز لهم ذلك.

وقد كان أبو الحسن البسطامي شيخ رباط بن المحيان¹ يلبس الصّوف صيفاً وشتاءً
وتقصده النّاس يتبرّكون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار.

قال المصنّف: وهذا فوق القبيح وقد صحّ عن النّبّي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّ
رجلاً من أهل الصّفة مات فخلف دينارين فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كيتان".

¹ وفي النسخة الثانية المحليان وفي نسخة اخرى الملحيان.

قال المصنّف: لما سمع أوائل القوم أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يرفع ثوبه وأنه قال لعائشة -رضي الله عنها-: لا تخلعي ثوبا حتى ترقيه وأنّ عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- كان في ثوبه رقاع وأنّ اويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثمّ يخيّطها فيلبسها اختاروا المرقعات.

وقد أبعدها في القياس، فإنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدّنيا زاهدا وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنّه دخل على عمر بن عبد العزيز، وعليه قميص وسخ، فقال لامرأته فاطمة: أغسلي قميص أمير المؤمنين، فقالت: والله ماله قميص غيره.

فأمّا إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة، فلما له من معنى.

قال المصنّف: فأمّا صوفيّة زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كلّ واحد منها على لون فيجعلونها خرقا ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشّهرة والشّهوة، فإنّ لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباح وبها يشتهر صاحبها أنّه من الزهّاد أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف.

كذا قد ظنّوا، وإنّ إبليس قد لبس عليهم وقال: أنتم صوفيّة، لأنّ الصوفيّة كانوا يلبسون المرقعات، وأنتم كذلك.

أتراهم ما علموا أنّ التّصوّف معنى لا صورة؟! وهؤلاء قد فاتهم التّشبيه في الصّورة والمعنى.

أما الصّورة، فإنّ القدماء كانوا يرفعون ضرورة ولا يقصدون التّحسّن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جددا مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفّقونها على أحسن التّوقيع ويخيّطونها ويسموّنها مرقعة.

وأما عمر -رضي الله عنه- لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما فقالوا: ليس هذا المصور عندنا ألكم أمير أولا فقالوا: لنا أمير غير هؤلاء فقالوا: هو أمير هؤلاء قالوا: نعم هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فقالوا: ارسلوا إليه ننظره فإن كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وإن لم يكن هو فلا فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا. فأرسل المسلمين إلى عمر -رضي الله عنه- وأعلموه بذلك، فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه التّروحاتيّة والقسوس على هذه الصّفة سلّموا بيت المقدس إليه من غير قتال.

فأين هذا ممّا يفعله جهّال الصّوفيّة في زماننا؟! فنسأل الله العفو والعافية.

وأما المعنى، فإنّ أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

قال المصنّف: ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصّوف تحت الثياب ويلوح بكفه حتى يرى لباسه وهذا لص ليلى ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثمّ يلبس الصّوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصّوفيّة وصعب عليهم البذاذة وأحبّوا التّنعّم ولم يروا الخروج من صورة التّصوّف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرّفيعة واعتمّوا بالرّومي الرّفيع إلّا أنّه بغير طراز، فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبّس إبليس عليهم أتكّم صوفيّة بنفيس النّفس.

وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التّصوّف وتنعم أهل الدّنيا ومن علاماتهم مصادفة الأُمراء ومفارقة الفقراء كبرا وتعظيما.

وقد كان عيسى بن مريم -صلوات الله وسلامه عليه- يقول: يا بني إسرائيل ما لكم تأتونني وعليكم ثياب الرّهبان ولوبكم قلوب الذئاب الضواري لبسوا لباس الملوك وألبنوا قلوبكم بالحشية.

وأخبرنا محمّد بن أبي القاسم قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك دينار قال: إنّ من النّاس ناسا إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم وإذا لقوا الجبايرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم فكونوا من قراء الرّحمن بارك الله فيكم.

أخبرنا محمّد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمّد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمّد اللّالي ثنا أبو حاتم ثنا هديبة ثنا حزم قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنّكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلاّ البصير، إنّكم في زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم فطلبوا الدّنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعكم في شباكهم.

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالاً: أخبرنا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى مهني الشّامي ثنا ضمرة عن سعيد بن شبيل قال: نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد، فجلس إليه، فقال له: هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئا وتكون معهم؟ قال: ما شئت يا أبا يحيى، قال: فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه.

أخبرنا المحمّدان قالنا نا حمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابي ثنا هشام بن علي السّيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار قال: كان فتى يتفرى، فكان يأتيني فابتلى فولى الجسر فبينما هو يصلي إذ مرت سفينة فيها بطٌّ، فنأدى بعض أعوانه قرب لناخذ لعامل بطّة، فأشار بيده: سبحان الله أي بطتين قال: فكان أبي إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق أنا ابن باكويه قال: سمعتُ
محمّد بن خفيف يقول: قلتُ لرويم أوصني، فقال: هو بذل الرّوح، وإلّا فلا تشتغل
بترهات الصّوفيّة.

أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدي نا أبو بكر أحمد بن محمّد الأردستاني ثنا
عبد الرّحمن السلمي قال: سمعتُ أبي يقول بلغني أنّ رجلاً قال للشّبلي قد ورد جماعة من
أصحابك وهم في الجامع، فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط؛ فأنشأ يقول:
أما الخيام فإنّها كخيامهم وأرى نساء الحيّ غير نساءها
قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: واعلم أنّ هذه البهجة في تشبيه هؤلاء بأولئك
لا تخفى إلّا على كلّ غبيّ في الغاية.

فأما أهل الفطنة، فيعلمون أنّه تميس بارد.
والأمر في ذلك على نحو قول الشّاعر:

تشبّهت حور الطّبّاء بهم	إن سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق وناظر	بأنس وذو خلا بذى شجن
مشته أعرفه وإنّما	مغالطا قلت لصحبي دار من

قال المصنّف: لبس الفوط المرقعات.

قال المصنّف: وإنّما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه:

- أحدها: أنّه ليس من لباس السلف وإنّما كان السلف يرقعون ضرورة.
- والثّاني: أنّه يتضمّن إدعاء الفقر وقد أمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه.
- والثّالث: أنّه إظهار للزّهد وقد أمرنا بسنّه.
- والرّابع: أنّه تشبّه بمؤلّاء المترجحين عن الشّريعة ومن تشبه بقوم، فهو منهم.

وقد أخبرنا ابن الحسين: نا بن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الحرسي عن ابن عمر قال قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من تشبه بقوم فهو منهم".

وقد أنبأ نا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني أبي قال لما دخلت بغداد في رحلتي الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكري لأقرأ عليه أحاديث وكان من المنكرين على هذه الطائفة فأخذت في القراءة فقال: أيها الشيخ أنك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتسعى في طلبه فقلت أيها الشيخ وأي شيخ أنكرت علي حتى أنظر؛ فإن كان له أصل في الشريعة لزمته وإن لم يكن له أصل في الشريعة تركته، فقال: ما هذه الشواذك¹ التي في مرقعتك فقلت: أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - تخبر أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج.

وإنما وقع الإنكار لأن هذه الشواذك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة، فاستدلنا بذلك على أن لهذا أصلا في الشرع يجوز مثله.

قال المصنف: قلت لقد أصاب السكري في إنكاره وقلّ فقه ابن طاهر في الردّ عليه، فإن الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة في لبسها. فأما الشواذك، فتجمع شهرة الصورة وشهرة دعوى الزهد وقد أخبرتك أنهم يقطعون الثياب الصالح ليجعلوها اشواذك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد؛ ولهذا وقعت الكراهية، وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول: سمعت الحسين ابن هند يقول:

¹ نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ.

سمعت جعفر الحذاء يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزينتها يعني بذلك أصحاب المصبغات والقوط.

أخبرنا ابن حبيب نا ابن صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط قال: سمعت الثوري يقول: كانت المرقعات غطاء على الدرّ، فصارت جيفا على مزابل.

قال ابن باكويه: وأخبرني أبو الحسن الخنظلي قال نظر محمد بن محمد ابن علي الكتاني إلى أصحاب المرقعات فقال: إخواني إن كان لباسكم موافقا لسرايركم لقد أحببتهم أن يطلع الناس عليها وإن كانت مخالفة لسرايركم فقد هلكتهم وربّ الكعبة.

أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينوري لبعض أصحابه: لا يعجبنيك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زيتوا الظواهر إلا بعد أن حربوا البواطن.

وقال ابن عقيل: دخلت يوماً الحمام، فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بقوط فقلت للحمامي أرى سلخ الحية فمن داخل فذكر لي بعض من يتصفّف للبلاد حوشاً للأموال.

قال المصنّف: وفي الصّوفيّة من يرقع المرقعة حتّى تصير كثيفة خارجة عن الحدّ.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت نا القاضي أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادي نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازي نا جعفر الخالدي ثنا بن حباب أبو الحسين صاحب ابن الكريني قال: أوصى لي ابن الكريني بمرقعته، فوزنت فردة كم من أكمامها، فإذا فيه أحد عشر رطلاً.

قال جعفر: وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت: الكيل¹.

وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسنادا متصلا كله كذب ومحال.

وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة في لبس الخرقه من يد الشيخ فجعل هذا من السنة، واحتج بحديث أم خالد ان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أتى بثياب فيها خميصة² سوداء، فقال من ترون أكسو هذه، فسكت القوم، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اتوني بأمر خالد: قالت فأتى بي فألبسنيها بيده، وقال: "أبلى وأخلقني".

قال المصنف: وإنما ألبسها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكونها صبية، وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص وأمها همينة بنت خلف قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد وأسمها أمة؛ ثم قدموا فأكرمها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لصغر سنّها، وكما اتفق فلا يصير هذا سنة وما كان من عادة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلباس الناس ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم.

ثمّ ليس من السنة عند الصوفيّة أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقه سوداء بل مرقعة أو فوطه، فهالاً جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد.

¹ في النسخة الثانية الكيل بالباء الموحدة.

² كذا في النسختين.

وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنّة فيما شرط الشيخ على المرید في لبس المرقعة، واحتجّ بحديث عبادة بايعنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على السمع والطاعة في العسر واليسر.

قال المصنّف: فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين إشتراط الشيخ على المرید من اشتراط رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الواجب الطاعة على البيعة الإسلامية اللازمة.

وأما لبسهم المصبغات، فإنّها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض؛ وإن كانت فوطاً، فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة وقد أمر الشّرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة.

فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا علي بن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن حثيم عن سعيد بن جبیر عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "البسوا من ثيابكم البيض فإنّها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم".

قال عبد الله: وحدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن سفیان ثنا حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة بن جندب¹ عن النّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

¹ سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو يكنى أبا سليمان قدمت به أمه بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار. ولم يدرك الجاهلية ولاقى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو بعد طفل. خلال عذبة، وشمائل كريمة تمتع بها الصّحابي الجليل منها الشجاعة وعدم التسامح مع المخطئين وقد ظهر هذا في تعامله مع الخوارج. ولما مرض سمرة بن جندب مرضه الذي مات فيه أصابه برد شديد فأوقدت له نار فجعل كانونا بين يديه وكانونا خلفه وكانونا عن يمينه وكانونا عن يساره قال فجعل لا ينتفع بذلك ويقول كيف أصنع بما في جوفي فلم يزل كذلك حتّى مات.

"ألبسوا الثياب البيض فانها أظهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم".

قال الترمذي: هذان حديثان صحيحان.

وفي الباب عن ابن عمر قال: وهذا الذي يستحبّه أهل العلم.

وقال أحمد بن حنبل: وإسحاق أحبّ الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض.

وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه، فقال: باب السنّة في لبسهم المصبغات واحتجّ

بأن النبي -صلوات الله عليه وسلامه- لبس حلة حمراء، وأنّه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء.

قال المصنّف: قلت: ولا ينكر أنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لبس هذا

ولا أنّ لبسه غير جائز.

وقد روى أنّه كان يعجبه الحبرة وإنّما المسنون الذي يأمر به ويداوم عليه، وقد كانوا

يلبسون الأسود والأحمر فأما الفوط والمرقع فإنّه لبس شهرة.

وأما النهي عن لباس الشّهرة وكراهنته، فأخبر أبو منصور بن خيرون أنّنا أبو بكر

الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدي ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر

الحضرمي ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن

سمرة قبل سنة ستين قال ابن عبد البر سقط في قدر مملوء ماء حارا فكان ذلك تصديقا لقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له ولأبي هريرة ولأبي مخذرة آخركم موتا في النار قيل مات سنة ثمان وقيل سنة تسع وخمسين وقيل في أول سنة ستين.

انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة [جزء3-صفحة178]؛ صحيح البخاري [جزء1-صفحة125]؛ صحيح البخاري [جزء4-صفحة1717]؛ سنن أبي داود [جزء2-صفحة695]؛ الإصابة في تمييز الصحابة [جزء3-صفحة178].

حبيش عن أبي ذر عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه.

أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التميمي قالاً: أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت -رضي الله عنهما- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه نهي عن الشَّهْرَتَيْنِ، فقيل: يا رسول الله وما الشَّهْرَتَانِ؟ قال: "رَقَّةُ الثِّيَابِ وغلظها ولينها وحشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد".

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخاري قال: قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال: مَنْ لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة.

قال المصنّف: وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة".

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالاً: أخبرنا أبو اسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: مَنْ لبس شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة.

وعن ليث عن شهر بن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: مَنْ ركب مشهوراً من الدوابّ أعرض الله عنه ما دام عليه، وإن كان كريماً.

قال المصنّف: وقد روينا أن ابن عمر -رضي الله عنهما- رأى على ولده ثوبًا قبيحًا دونًا، فقال: لا تلبس هذا، فإنّ هذا ثوب شهرة.

أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدي ثنا أحمد بن محمّد بن الهيثم الدوري ثنا محمّد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: حدّثنا محمّد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال: شهدت مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتح خيبر، وكنتُ فيمن سعد الثلثة فقاتلت حتّى رأى مكاني وأتيت وعلي ثوب أحمر فما علمت أنّي ركبت في الإسلام ذنبا أعظم منه للشّهرة.

وقال سفيان الثّوري: كانوا يكرهون الشّهرتين الثّياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع النّاس إليه فيها أبصارهم والثّياب الرّديئة التي يحتقر فيها ويستبدل.
وقال معمر: عاتبت أيّوب على طول قميصه، فقال: إنّ الشّهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره.

قال المصنّف: ومن الصّوفيّة من يلبس الصّوف ويحتج بأنّ النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لبس الصّوف وبما روى في فضيلة لبس الصّوف.
فأمّا لبس رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصّوف فقد كان يلبسه في بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب.

وأما ما يروى في فضل لبسه فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء ولا يخلو لابس الصّوف من أحد أمرين: إمّا أن يكون متعودا لبس الصّوف وما يجانسه من غليظ الثّياب، فلا يكره ذلك له، لأنّه لا يشهر به؛ وإمّا أن يكون مترفًا لم يتعوّده، فلا ينبغي له لبسه من وجهين:

- أحدهما: أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق، ولا يجوز له ذلك.

- والثاني: أنه يجمع بلبسه بين الشّهرة وإظهار الزّهد.

وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصّوفي إجازة ثنا أبو محمّد جعفر بن محمّد بن الحسن بن اسماعيل الأبهري ثنا روز به ثنا محمّد بن اسماعيل بن محمّد الطائي ثنا بكر بن سهل الدميّاطي ثنا محمّد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من لبس الصّوف ليعرفه النَّاس كان حقًّا على الله -عزَّ وجلَّ- أن يكسوه ثوبا من جرب حتّى تتساقط عروقه".

أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصّابوني وأبو بكر البيهقي قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمّد بن يحيى ثنا العبّاس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصّيرفي ثنا محمّد بن عبيد الهمداني ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إنَّ الأرض لتعجّ إلى ربّها من الذين يلبسون الصّوف رياء".

أخبرنا محمّد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التّميمي ثنا أحمد أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب قال: شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخف الحسن بكسائه فمده إليه وقال: يا فريقد يا ابن أم فريقد إنَّ البرّ ليس في هذا الكساء وإنّما البرّ ما قر في الصّدر وصدقه العمل.

أنبأنا محمّد بن عبد الباقي نا أبو محمّد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمّد بن سعد قال: حدّثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانه ثنى أبو شداد الجاشعي قال: سمعتُ الحسن وذكر عنده الذين يلبسون الصّوف، فقال: ما لهم تعاقدوا ثلاثا أكنوا الكبر في قلوبهم وأظهروا التّواضع في لباسهم والله لأحدهم أشدّ عجبا بكسائه من صاحب المطرف بمطرفة.

أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو علي التّميمي نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمّد بن سعيد بن يحيى البزوري ثنا عبد الله بن أيوب المخرمي قال: حدّثنا عبد المجيد يعني ابن أبي

رواد عن ابن طهمان يعني ابراهيم عن أبي مالك الكوفي عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصّوف وعليه جبّة صوف وعمامة صوف ورداء صوف، فجلس، فوضع بصره في الأرض، فجعل لا يرفع رأسه وكأن الحسن خال فيه العجب، فقال الحسن: ها إنّ قوما جعلوا كبرهم في صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصّوف.

ثمّ قال إنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كان يتعوّذ من زيّ المنافقين قالوا: يا أبا سعيد وما زيّ المنافقين؟ قال: خشوع اللباس بغير خشوع القلب.
قال ابن عقيل: هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس، ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبّة الصّوف.

فإذا قال له القائل: يا أبا فلان ظهر منه ومن أوباشه الإنكار، فعلم أنّ الصّوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباح عند الأوباش.

أخبرنا محمّد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمّد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال: سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاهه فرقد السنّحي وعليه ثوب صوف، فقال له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتنا نتنظر إبراهيم يعني التّخعي، فيخرج علينا وعليه معصفرة.

أخبرنا محمّد بن القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمّد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدي ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء أن أبا قلابة قال: إيّاكم وأصحاب الأكسية.

أخبرنا محمّد ابن ناصر وعمر بن طفر قالوا نا محمّد بن الحسن الباقلاوي نا القاضي أبو العلاء الواسطي ثنا أبو نصر أحمد بن محمّد الساركي نا أبو الخير أحمد بن حمد البزار ثنا محمّد بن اسماعيل البخاري ثنا علي بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطي عن أبي خالد قال: جاء عبد الكرم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف، فقال له أبو العالية: إنّما هذه ثياب الرهبان إن كان المسلمون إذا تراوروا تجملوا".

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن نا أحمد بن عبد الله الأصبهاني ثنا أبو محمد بن حبان ثنا أحمد بن الحسين الخذاء ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا العيص بن اسحاق قال: سمعت الفضيل يقول: تزيتت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعوك بك رأساً تزيتت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً تزيتت لهم بشيء يعد شيء كل ذلك إنما هو لحب الدنيا.

أنبأ نا ابن الحصين قال: نا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال: ثنا اسماعيل بن علي قال: ثنا الحسن بن علي بن شبيب قال: ثنا أحمد بن أبي الخواري قال: قال أبو سليمان: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف وشهوته في قلبه بخمسة دراهم أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له.

قال أحمد بن أبي الخواري قال لي سليمان بن أبي سليمان وكان يعدل بأبيه أي شيء أرادوا بلباس الصوف قلت التواضع قال: لا يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف. أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العجلي¹ نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ربيع ثنا روح بن عبد المجيب ثنا أحمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثوري رجلاً صوفياً فقال له الثوري هذا بدعة.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا أحمد بن محمد بن زياد قال سمعت أبا داود يقول: قال سفیان الثوري لرجل عليه صوف: لباسك هذا بدعة.

أنبأنا زاهر بن طاهر أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال: أخبرني محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال: سمعت أحمد بن شداد يقول: سمعت الحسن بن الربيع يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً أكره هذا أكره هذا.

¹ كذا بالمهملة.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نا عبد الواحد بن بكر ثنا علي بن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان بن أحمد ثنا الحسن بن عمرو قال: سمعتُ بشر بن الحارس يقول: دخل علي الموصلي علي المعافي وعليه جبة صوف فقال له: ما هذه الشهرة يا أبا الحسن؟! فقال: يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت فانظر أيّنا أشهر، فقال له: المعافي ليس شهرة البدن كشهرة اللباس.

أخبرنا إسماعيل بن أبي بكر المقرئ نا ظاهر بن أحمد نا علي بن محمد بن بشران عثمان بن أحمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول دخل بدليل علي أيوب السختياني وقد مدّ علي فراشه سبئية¹ حمراء تدفع التراب فقال: بدليل ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خيرٌ من الصوف الذي عليك.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن أحمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن أحمد ثنا محمد بن يسار قال: سمعتُ بشر بن الحارث وسئل عن لبس الصوف فشق عليه وتبين الكراهة في وجهه ثم قال لبس الخبز والمعصفر أحب إلي من لبس الصوف في الأمصار.

أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيري نا أحمد بن منصور البرسري ثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن منصور ثني يزيد السقا رفيق محمد بن أدريس الانباري قال: رأيتُ فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء من فعل هذا من العلماء قال: قد رأيت بشر بن الحارث فلم ينكر عليّ قال يزيد: فذهبت إلى بشر فقلت له: يا أبا نصر رأيت فلانا عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قد رأيت أبو نصر فلم ينكر عليّ قال: فقال لي بشر: لم تستشرنني يا أبا خالد لو قلت له لقال لي لبس فلان ولبس فلان.

أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن عليّ الصوّفي إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوّفي ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله بن أحمد بن نصر القنطري ثنا ابراهيم بن محمد

¹ في النسخة الثانية شبيبة حمراء تدفع الرياء والسبئية أزر النساء.

الإمام ثنا هشام بن خالد قال: سمعتُ أبا سليمان الداراني يقول لرجل لبس الصّوف: إنك قد أظهرت آلة الزّاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف؟ فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهره قطنياً وباطنه صوفياً.

أخبرنا يحيى بن علي المدبر نا أبو بكر محمّد بن عليّ الحيايط نا الحسن بن الحسين بن حمّان سمعت أبا محمّد الحسن بن عثمان بن عبد ربه البزار يقول سمعت أبا بكر بن الزيّات البغدادي يقول: سمعتُ ابن سيرويه يقول دخل أبو محمّد بن أخي معروف الكرخي عليّ أبي الحسن ابن بشّار وعليه جبة صوف، فقال له أبو الحسن: يا أبا محمّد صوّفت قلبك أو جسمك صوف قلبك والبس القوهي على القوهي¹.

أخبرنا عبد الوهّاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن أحمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدّثنا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا أحمد بن سعيد قال: سمعتُ النضر بن شمیل يقول قلت لبعض الصّوفيّة: تبيع جبتك الصّوف؟ فقال: إذا باع الصيّاد شبكته بأيّ شيء يصطاد؟!

قال أبو جعفر بن جرير الطّبري: ولقد أخطأ من آثر لباس الشّعْر والصّوف على لباس القطن والكتان مع وجود السّبيل إليه من حله؛ ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البرّ؛ ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النّساء.

قال المصنّف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدّون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان، ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً. وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنّه رأى حلّة سيرا تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

¹ القوهي الثياب البيض.

لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة"؛ فما أنكر عليه ذكر التحمّل بما، وإنما أنكر عليه لكونها حريرا.

قال المصنّف - رحمه الله -: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاوروا تجمّلوا.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أنبا نا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباسا مرتفعا وقد اشترى تميم الداري حلة بألف ولكنه كان يصلي بها.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميما الداري اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته قال وحدنا عمّان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت أن تميما الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميما الداري اشترى رداء بالف فكان يصلي بأصحابه فيه.

قال المصنّف - رحمه الله -: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبا وأطيبهم ريحا، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد.

قال كلثوم بن جوشن: خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يماني فنظر إليه فرقد فقال: يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا فقال الحسن: يا ابن أم فرقد، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية؟!¹

وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد، وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدّينار، وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في بيوتهم¹؛ فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا ما لا يشتبهون به من الدون ولا من الأعلى.

¹ كذا في النسختين ولعله الملاءة وكان لبسها من عاداتهم.

أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد علي العجلي ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين الصوفي ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم الحرابي ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم قال كان لباس إبراهيم بن أدهم كتانا قطنا فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول رأى علي ذو النون خفا أحمر فقال انزع هذا يا بني فانه شهرة ما لبسه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما لبس النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خفين أسودين ساذجين.

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملي نا علي بن عمر الدارقطني نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني ثنا الزبير عن أبي عرنة الأنصاري عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال: قال أبو جعفر المنصور: العري الفادح خير من الزي الفاضح.

قال المصنف: واعلم أنّ اللباس الذي يزري بصاحبه يتضمن إظهار الزهد وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله -عز وجل- ويوجب احتقار اللباس، وكلّ ذلك مكروه ومنهي عنه.

أخبرنا محمد بن ناصر نا علي بن الحصين بن أيوب نا أبو علي بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشي ثنا عبد الله بن عمر القواريري ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنا قشف الهيئة، فقال: "هل لك مال" قلت

نعم قال: "من أي المال؟" قلت: من كلّ المال قد آتاني الله -عزّ وجلّ- من الإبل والخيل والرقيق والغنم قال: "فإذا آتاك الله -عزّ وجلّ- مالا فليزك عليك".

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا مسكين بن بكير ثني الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرا في منزلي فرأى رجلا شعثا، فقال: "أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه" ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: "أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه".

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالوا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري وأبو القاسم علي بن الحسن التنوخي قالوا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنباري ثني أبي ثنا أبو عكرمة الضبي ثنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: مضى علي بن أبي طالب إلى الربيع بن زياد يعوده، فقال له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخي، قال: ما شأنه؟ قال: ترك الملاذّ ولبس العباءة فغمّ أهله وأحزن ولده، فقال علي عاصما.

فلما حضر بش في وجهه وقال أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها أنت والله أهون على الله من ذلك، فوالله لا بتدالك نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتدالك بالمقال، فقال: يا أمير المؤمنين إني أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير، فتنفّس الصّعداء؛ ثم قال: ويحك يا عاصم ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بالعوام لئلا يتبع بالفقير فقره.

قال أبو بكر الأنباري المعنى لئلا يزيد ويغلو يقال تبيع به الدّم إذا زاد وجاوز الحدّ.

قال المصنّف: فإن قال قائل: تجويد اللباس هوى للنفّس، وقد أمرنا بمعاهدتها وترتّب للخلق، وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

فالجواب أنّه ليس كل ما تهاوه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره وإنما ينهي عن ذلك إذا كان الشرع قد نهي عنه أو كان على وجه الرياء في باب الدّين فإنّ الإنسان يجب أن يرى جميلاً وذلك حظّ النَّفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره وينظر في المرآة ويسوّي عمامته ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل وظهارته الحسنة إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يذمّ.

أخبرنا المبارك بن علي الصّبري نا علي بن محمّد بن العلاف نا عبد الملك بن محمّد بن بشران نا أحمد بن ابراهيم الكندي نا محمّد بن جعفر الخرائطي ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانيء عن العلاء بن كثير عن مكحول¹ عن عائشة قالت كان نفر من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر في الماء ويسوي شعره ولحيته فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا قال: "نعم، إذا خرج الرّجل إلى إخوانه فليهيء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال".

أخبرنا محمّد بن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمّد بن علي ثنا مسعود بن ناصر بن أبي زيد نا أبو إسحاق بن محمّد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله العزمي عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت: خرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فمرّ بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظلّه فيها ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت: يا رسول الله تفعل هذا؟! قال:

¹ هو مكحول بن أبي مسلم الهذلي أبو عبد الله الشّامي (؟-112 هـ، ؟-731 م). محدّث فقيه حافظ، روى أحاديث مرسلّة عن جماعة من الصحابة. أصله من فارس ومولده بكابل. سُبي وصار مولى لامرأة من مصر. أُعتق وتفقّه. ورحل في طلب الحديث. قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم، عتقت في مصر، فلم أدع بها علماً إلاّ حويته فيما أرى، ثمّ أتيت العراق ثمّ المدينة فلم أدع بهما علماً إلاّ حويته فيما أرى، ثمّ أتيت الشام فغربلتها، وقال: ما استودعت صدري شيئاً إلاّ وجدته حين أريد. استقرّ بدمشق، وبها توفّي.

"وأَيُّ شيءٍ فعلت؟ نظرت في ظل الماء فهيات من لحيتي ورأسي إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيج من نفسه".

قال المصنّف -رحمه الله-: فإن قيل: فما وجه ما رويتم عن سري السقطي أنّه قال لو: أحسست بإنسان يدخل علي فقلت كذا بلحيتي وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار.

فالجواب: أنّ هذا محمول منه على أنّه كان يقصد بذلك الرّياء في باب الدّين من إظهار التّخشّع وغيره فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن، فإنّ ذلك غير مذموم فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرّياء ولا فهم المذموم.

أخبرنا سعد الخير بن محمّد الأنصاري نا علي بن عبد الله بن محمّد النّيسابوري نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمّد الفارسي نا محمّد بن عيسى بن عمرويه نا إبراهيم بن محمّد بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا محمّد بن المثني ثني يحيى بن حماد قال أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب¹ عن فضيل الفقيمي عن إبراهيم النّخعي عن علقمة² عن ابن

¹ أبو سعيد، أبان بن تغلب بن رباح البكري الجزيري. ولم تحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ومكانها، إلا أنّه كان من أعلام القرن الثاني الهجري. وكان -رضي الله عنه- من أصحاب الإمامين الباقر والصادق -عليهما السلام-، ويُعتبر من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري. وكان قارئاً من وجوه القراء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم، وكان مقدّماً في كلّ فنّ من العلوم: في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو. وقال الإمام الباقر -عليه السلام- له: «اجلس في مسجد المدينة، وأفت الناس؛ فإنّي أحبّ أن يُرى في شعيتي مثلك». وقال الإمام الصادق -عليه السلام- لمسلم بن أبي حيّة: «أنت أبان بن تغلب، فإنّه قد سمع منّي حديثاً كثيراً، فما روى لك فاروه عني». وقال الإمام الصادق -عليه السلام- له: «يا أبان! ناظر أهل المدينة، فإنّي أحبّ أن يكون مثلك من رواتي ورجالي». وقال الإمام الصادق -عليه السلام- لما أتاه نعيه: «رحمه الله، أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان». وقال الشيخ النجاشي -قدس سره-: «عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله -عليهم السلام-، روى عنهم، وكانت له عندهم منزلة وقدم». وقال الشيخ الطوسي -قدس سره-: «كان قارئاً فقيهاً لغوياً نبيلاً». وقال الشيخ ابن داود الحلبي -قدس سره-: «ثقة جليل القدر، سيّد عصره وفقيهه، وعمدة الأئمّة -عليهم السلام-، روى عن الصادق -عليه

السلام- ثلاثين ألف حديث». وقال الشيخ عبد الله المامقاني -قدّس سرّه-: «فوثيقة الرجل، وعظم شأنه، وجلالة قدره، متفق عليه بين الفريقين، مستغنٍ عن البيان». ووقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ زهاء (130) مورداً، وفي جميع ذلك روى عن المعصوم إلاّ أحد عشر مورداً. ومَن روى عنهم: الإمام زين العابدين، الإمام الباقر، الإمام الصادق -عليهم السلام-، أبو حمزة الثمالي، زارة بن أعين، سعيد بن المسيّب... ومن الرّواين عنه: أبو جميلة المفضّل بن صالح، عبد الرحمن بن الحجاج البجلي، إبراهيم بن الفضل الهاشمي، جميل بن درّاج النخعي، علي بن رثاب، أبان بن عثمان الأحمر، هشام بن سالم الجواليقي، عبد الله بن سنان. ومن مؤلّفاته: تفسير القرآن، معاني القرآن، كتاب القراءات، الغريب في القرآن، كتاب الفضائل، كتاب من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة، كتاب صفين. وثوئي -رضي الله عنه- عام 141 هـ.

انظر ترجمته في: معجم رجال الحديث 1/131، رجال النجاشي: 10، المصدر السابق: 13، خلاصة الأقوال: 74، من لا يحضره الفقيه 4/435، رجال النجاشي: 10، الفهرست: 57، رجال ابن داود: 29، تنقيح المقال: 3/94.

² علقمة بن قيس فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها الإمام الحافظ الموحود المجتهد الكبير أبو شبيل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان ابن كهيل وقيل ابن كهيل بن بكر بن عوف ويقال ابن المنتشر بن النخع النخعي الكوفي الفقيه عم الأسود بن يزيد وأخيه عبد الرحمن وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي. ولد في أيام الرسالة المحمدية وعداده في المخضرمين وهاجر في طلب العلم والجهاد ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود حتّى رأس في العلم والعمل وتفقه به العلماء وبعد صيته. حدّث عن عمر وعثمان وعلي وسليمان وأبي الدرداء وخالد بن الوليد وحذيفة وخباب وعائشة وسعد وعمار وأبي مسعود البدري وأبي موسى ومعتل بن سنان وسلمة بن يزيد الجعفي وشريح بن أرتاة وقيس بن مروان وطائفة سواهم وجوّد القرآن على ابن مسعود. تلا عليه يحيى بن وثاب وعبيد بن نضيلة وأبو إسحاق السبيعي وتفقه به أئمة كإبراهيم والشعبي وتصدّى للإمامة والفنّيا بعد علي وابن مسعود وكان يشبه بابن مسعود في هدية ودله وسمته وكان طلبته يسألونه ويتفقّهون به والصحابة متوافرون. حدث عنه أبو وائل والشعبي وعبيد بن نضيلة وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وأبو الضحى مسلم بن صبيح وإبراهيم بن سويد النخعي وأبو ظبيان حصين بن جندب الجنبي وأبو معمر عبد الله بن سخبرة وسلمة بن كهيل وابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد وأبو إسحاق السبيعي وعمارة بن عمير وأبو قيس عبد الرحمن بن ثروان الأودي وعبد الرحمن بن عوسجة والقاسم بن مخيمرة وقيس بن رومي ومرة الطيب وهني بن نويرة ويحيى بن وثاب ويزيد بن أويس ويزيد بن معاوية النخعي لا الأموي وأبو الرقاد النخعي

مسعود عن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" فقال رجل إن أجدنا يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: "إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس".
أنفرد به مسلم ومعناه الكبر كبير من بطر الحق وغمط بمعنى ازدري واحتقر.

وقال المصنّف -رحمه الله-: وقد كان في الصّوفيّة من يلبس الثّياب المرتفعة.
أخبرنا محمّد بن ناصر نا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن أبي الصقر نا علي بن الحسن بن جحاف قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديقي ويسبّح بسبح الوُلُو ويؤثر ما طال من الثّياب.
قال المصنّف -رحمه الله-: قلت وهذا في الشّهرة كالمرقعات وإمّا ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطا فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بمؤلاء بين طربي نقيض.

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد كان في الصّوفيّة من إذا لبس ثوبا حرق بعضه وربما أفسد الثوب الرفيع القدر.

والمسيب بن رافع وأرسل عنه أبو الزناد وغيره. قال بعض الحفاظ وأحسن: أصح الأسانيد منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود فعلى هذا أصح ذلك شعبة وسفيان وعن منصور وعنهما يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي وعنهما علي بن المديني وعنه أبو عبد الله البخاري رحمه الله. قال الهيثم بن عدي مات علقمة في خلافة يزيد وقال أبو نعيم وقعنّب بن محرر سنة إحدى وستين وقال المدائني ويحيى بن بكير وأبو عبيد وابن معين وابن سعد وعدة: مات سنة اثنتين وستين ويقال توفي سنة خمس وستين.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزّاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرئ قال: سمعت عيسى بن علي الوزير يقول كان ابن مجاهد¹ يوماً عند أبي فقيل له الشبلي فقال يدخل فقال ابن مجاهد سأسكته السّاعة بين يديك وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً حرق فيه موضعاً فلما جلس قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر أين في العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلي: أين في العلم ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾²؟ قال: فسكت ابن مجاهد فقال له أبي: أردت أن تسكته فأسكتك ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين في القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبي قل يا أبا بكر فقال قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾³ فقال ابن مجاهد: كأنتي ما سمعتها قط. قال المصنّف -رحمه الله-: قلت هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن بن غالب كان لا يوثق به.

¹ ابن مجاهد، أبو بكر (324 - 245 هـ)، (859 - 936 م). أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر التميمي البغدادي الأستاذ الإمام، شيخ صنعة القراءة وأول من سبع السّبعة (اختار القراءة السبعة الذين يقرأ القرآن بقراءاتهم حتى اليوم مثل عاصم وأبي عمرو وغيرهما). قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس عشرين ختمة، وعلى قبيل المكي راوية ابن كثير، وإسحاق بن أحمد الخزاعي، وعلى أحمد بن يحيى ثعلب التّحوي وإدريس بن عبد الكرم وخلائق آخرين. وروى عنه أحمد بن بُدهن وأبو علي الفارسي وأبو عبد الله بن خالويه والحسين بن حبش وأبو جعفر الشاهد وخلائق لا يحصون. كان مشهوراً بعيد الصيت فاق أقرانه ومعاصريه مع الدّين والحفظ والخير. قال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه. قال بعض أهل التّراجم: "ولا نعلم أحداً من شيوخ القراءة أكثر تلاميذ منه ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه". كان في حلقة أربعة وثمانون خليفة يقرئون الناس. له كتاب السّبعة في القراءة؛ كتاب البيئات؛ كتاب الهاءات؛ كتاب حروف الكسائي، وغير ذلك.

² سورة ص (38)، الآية 33.

³ سورة المائدة (5)، الآية 18.

أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب قال: ادعى الحسن بن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أنّ قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾¹ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل فساد.

والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها وقال أنت في سبيل الله فهذا إصلاح ومنهم من قال عقرها وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الصقر ثنا علي بن الحسن بن جحاف الدمشقي قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان مذهب أبي عليّ الرّوزباري تحريق أكمامه وتفتيق قميصه قال: فكان يخرق الثوب المثلث فيرتدي بنصفه ويأترز بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يتأزرون به فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامي قال ابن عطاء قال لي أبو سعيد الكازروني: كنتُ معه في هذا اليوم وكان الرداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً.

قال المصنّف -رحمه الله-: ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو بكر البيهقي نا أبو عبد الله الحاكم قال: سمعتُ عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي يقول كانت لي قبجة² طلبت بمائة درهم فحظرتني ليلة غريبان فقلت للوالدة عندك شيء لضيبي قالت لا إلا الخبز فذبحت القبجة وقدمتها إليهما.

قال المصنّف -رحمه الله-: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعه ويعطي فلقد فرط.

¹ سورة ص (38)، الآية 33.

² القبجة واحد القبح للذكر والأنثى وهو الحجل طائر معروف.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت جدي يقول: دخل أبو الحسن الدراج البغدادي الري، وكان يحتاج إلى لفاف لرجله: فدفع إليه رجل منديلا ديقيا، فشقه نصفين وتلف به: فقيل له: لو بعته وأشترت منه لفافا وأنفقت الباقي، فقال -رحمه الله-: أنا لا أخون المذهب.

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالي ببغداد فخرج إلى المحول، فوقف على ناعورة تأن، فرمي طيلسانه عليها، فدارت، فتقطع الطيلسان.
قال المصنف -رحمه الله-: قلت: فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم، فإنه قد صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع دينارا صحيحا وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطا فكيف بهذا التبذير المحرم ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتي ذكره -إن شاء الله- ثم يدعون أن هذه الحالة لا خير في حالة تنافي الشرع أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بأرائهم فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعناد وإن كانوا لا يعرفوا فلعمري إنه لجهل شديد.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته مرق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه، ففتح أبو عثمان عينه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر ورياء باطن في القلب.

قال المصنف: وفي الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضا.
أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا محمد بن أبي عدي عن العلاء عن أبيه أنه سمع أبا سعيد سئلي عن الأزار، فقال:

سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "أزار المسلم إلى إنصاف السَّاقين لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك فهو النَّار".
أخبرنا المحمَّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمَّد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد الجوهري قال: كتب إلي عبد الرزاق عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له فقال: الشهرة اليوم في التَّشْمِير.
وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ قال: دخلت يوماً على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وعليّ قميص أسفل من الركبة وفوق السَّاق، فقال: أيّ شيء هذا؟! وأنكره وقال: هذا بالمرّة لا ينبغي.

قال المصنّف: وقد كان في الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه.
أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن علي نا أحمد بن منصور البوسري ثنا محمَّد بن مخلد ثنا محمَّد بن يوسف قال: قال عبّاس بن عبد العظيم العنبري: قال بشر بن الحارث إنّ ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة، فنظر النَّاس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كفه.

قال المصنّف: وقد كان في الصّوْفِيَّة من استكثر من الثياب وسوسة، فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً.

وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد. وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق التيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم - يعني ابن إسماعيل - ثني جعفر عن أبيه أن علي بن الحسين قال: يا بني لو اتخذت ثوبا للغائط رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ثم أتيته فقال: ما كان لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا لأصحابه إلا ثوب فرفض.

***** قال المصنّف: وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زاهدا في الدنيا وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصح وأحسن. أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن أحمد بن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثني ابن أبي شيبه ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: خطبنا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في يوم جمعة، فقال: "ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته".

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد¹ عن عبد المجيد بن سهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال محمد بن عمر:

¹ ابن أبي الزناد الإمام الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن الفقيه أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني. ولد بعد المائة، وسمع أباه وسهيل بن أبي صالح وعمرو بن أبي عمرو وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد وطبقتهم. وكان من أوعية العلم أخذ القراءة عرضاً عن أبي جعفر القارئ، قاله أبو عمرو الذاتي.

وحدّثني غير محمّد بن عبد الرّحمن أيضا ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- برد يمينه وازار من نسج عمان فكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان.

وحدّث عنه ابن جريج، وهو من شيوخه وسعيد بن منصور وأحمد ابن يونس عليّ بن حجر وهناد بن السري وداود بن عمرو وعدد كبير. قال يحيى بن معين: هو أثبت التّاس في هشام بن عروة. وقال ابن سعد: كان فقيهاً مفتياً. قال ابن مهدي: ضعيف قلت أحتج به النسائي وغيره وحدّثه من قبيل الحسن وقال يعقوب بن شيبة سمعت ابن المديني يقول حدّثه بالمدينة مقارب وما حدث به بالعراق فهو مضطرب وقال صالح جزرة قد روى عن أبيه أشياء لم يروها غيره وقد تكلم فيه مالك لروايته كتاب الفقهاء السبعة عن أبيه وقال أين كنا نحن من هذا قال الخطيب تحول من المدينة فسكن بغداد روى عنه الوليد بن مسلم وابن وهب وسليمان بن داود الهاشمي. وقال ابن المديني ما حدث به بالمدينة صحيح وما حدث به ببغداد أفسده البغداديون. وقال الفلاس فيه ضعف وروى عبد الله بن أحمد عن أبيه قال هو كذا وكذا يمينه. وقال سليمان بن أيوب البصري سمعت ابن معين إني لأعجب ممن يعد فليحا وابن أبي الزناد في المحدثين. قال ابن حبان كان عبد الرّحمن ممن ينفرد بالمقلوبات عن الإثبات وكان ذلك من سوء حفظه وكثرة خطئه فلا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات فهو صادق قال الداني أخذ القراءة عرضا عن أبي جعفر وروى الحروف عن نافع، روى عنه الحروف حجاج الأعمور وسمع منه علي الكسائي وابن وهب. وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالحافظ عندهم قلت هو حسن الحديث وبعضهم يراه حجة. توفّي في سنة أربع وسبعين ومائة. أخبرنا أحمد بن إسحاق أخبرنا الفتح بن عبد السّلام أخبرنا هبة الله الحاسب أخبرنا أحمد بن محمد البزاز حدّثنا عيسى بن علي أخبرنا أبو القاسم البغوي حدّثنا داود بن عمرو حدّثنا عبد الرّحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال أخذ العباس بيد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليهم في العقبة حين واثى السبعون من الأنصار فأخذ لرسول الله عليهم واشترط له وذلك والله في غرة الإسلام، وأوله من قبل أن يعبد الله أحد علانية.

1

قال المصنّف -رحمه الله-: قد بالغ إبليس في تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وحشونته ومنعهم شرب الماء البارد.
فلما بلغ إلى المتأخّرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم.

¹ في الأصل وملايسهم وهو تحريف من الناسخ.

ذكر طرف ممّا فعله قدماؤهم

قال المصنّف -رحمه الله-: كان في القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن فروي لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان في بدايته يشتري بدرهم دبسا وبدرهمين سمنا وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة.

وحكى عنه أبو حامد الطوسي قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبين مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم في ثلاث سنين.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو باكويه ثني أبو الفرج بن حمزة التكريتي ثني أبو عبد الله الحصري قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول أشرف علي أبو تراب يوما وأنا على بكرة ماء ولي ستة عشر يوما ولم أكل شيئا ولم أشرب فيها ماء فقال ما جلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن.

أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا علي بن عبد الله العمري ثنا محمد بن فليح ثني إبراهيم بن البنا البغدادي قال صحبت ذا النون من أحميم إلى الإسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق قلت نعم قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه.

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز ابن علي الازجي نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق ثنا أحمد بن أنس بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول الزيد بالعسل إسراف.

قال ابن جهضم: وحدثنا محمد بن يوسف البصري قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول بلغ أبا عبد الله الزبيري وزكريا الساجي وابن أبي أوفى أن سهل بن عبد الله يقول انا حجة الله على الخلق فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيري فقال له: بلغنا أنك قلت

أنا حجة الله على الخلق فبماذا أنبي أنت أصدديق أنت قال سهل لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا هذا لأخدي الحلال فتعالوا كلكم حتى نصصح الحلال قالوا: فأنت قد صححته قال نعم قال وكيف قال سهل قسمت عقلي ومعرفتي وقوتي علي سبعة أجزاء فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسي خفت أن أكون قد أعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء.

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرني أبو عبد الله ابن مفلح قال أخبرني أبي أخبرني أبو عبد الله بن زيد¹ قال لي منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسي طعاما إلا في وقت ما أحل الله لها الميتة".

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد السهلي ثنى أبو الحسن علي بن محمد القوهي ثنا عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد قال جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس في مسجدك الذي أنت فيه قال لا تطيق ذلك فقال ان رأيت ان توسع لي في ذلك فأذن له فجلس يوما لا يطعم فصر فلما كان في اليوم الثاني قال له يا أستاذ لا بد مما لا بد منه فقال يا غلام لا بد من الله قال يا أستاذ نريد القوت قال يا غلام القوت عندنا إطاعة الله فقال يا أستاذ أريد شيئا يقيم جسدي في طاعته عز وجل فقال يا غلام ان الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل.

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول حدّثني أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام فقال له تمدّ يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف إلزم السوق.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض أصحابنا يقول أقام أبو الحسن

¹ في النسخة الثانية ابن وتد.

النّصيبي¹ بالحرم أياما مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ: من جنى منكم هذه الجناية؟ فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنائتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل فقال ألم أقل لك كن مع جنائتك فقال الرجل أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى مني فقال الشيخ لا كلام بعد التوبة.

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا أبو الحسن بن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزي قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة بمجاورا فرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى علي أيام لم يفتح علي بشيء وكان بمكة مزين يجب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحما فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت: أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحما وأمر بأصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة؟

ثم استيقظت وقلت يا نفس إنما جئت تحتجمن لتطمعي عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئا فلما فرغ انصرفت فقال: سبحان الله أنت تعرف الشرط فقلت ثم عقد فسكت وحثت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لي شيء آكله فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضا فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشي علي واجتمع حولي ناس وحسبوا أنني مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندي يحدثني ثم قال تأكل شيئا قلت قرب الليل فقال أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا.

¹ وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ النّصيبي. وهو كذلك عند الحاكم الجشمي، وهو أبو إسحاق النّصيبي عند ابن المرتضى. قرأ عليّ أبي عبد الله البصري. عدّه الحاكم الجشمي وابن المرتضى ضمن الطبقة الحادية عشرة من طبقات المعتزلة. وهو بذلك يكون معاصرا للقاضي عبد الجبار. حول ترجمته راجع: الحاكم الجشمي، شرح العيون، (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)؛ كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص196.

ثمّ قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءني ومعه قسعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدي وقال كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقسعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتي ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال: سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصفهاني يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب.

أنبأنا عبد المنعم ثنا أبي قال: سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول أمرني أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلي وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي؟

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه قال: سمعت عبد الله بن خفيف يقول كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهرا أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرقي شبه ماء اللحم وغشي علي فتحير الفصاد وقال ما رأيت جسدا لأدم فيه إلا هذا.

فصل

قال المصنّف: وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتّى قال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحا وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلّها ويحتجّ بما أخبرنا به عليّ بن عبد الواحد الديّوري نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الرّيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهري بن جميل ثنا بزيع عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أحرموا أنفسكم طيب الطعام فانما قوي الشيطان أن يجري في العروق بها".

وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار ومنهم من كان يجعل ماءه في دن مدفون في الأرض فيصير حارا ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة.

وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي السهلقي قال سمعت عبد الواحد بن بكر الورياني ثني محمد بن سعدان ثني عيسى بن موسى البسطامي قال سمعت أبي يقول قال سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول ما أكلت شيئا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة قال وأسهل ما لاقت نفسي مني أني سألتها أمرا من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة.

وحكى أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد انه قال دعوت نفسي إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك.

فصل

قال المصنّف: وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات في المطاعم فقال استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يوم وليلة.

قال: ومن الناس من كان يعمل في الأوقات فيقلها وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهي تحف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك.

قال: ومنهم من كان يعمل في الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة.

قال: والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته وفي رفته مفتاح المكاشفة.

قال المصنّف -رحمه الله تعالى-: وقد صنّف لهم أبو عبد الله محمّد بن علي الترمذي كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه فينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ويقطع الأدام والفواكه واللذّة ومجالسة الإخوان والتّظر في الكتب وهذه كلّها أفرّاح للنفس فيمنع النفس لذتها حتّى تملئ غمّاً.

قال المصنّف: وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزّيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة. فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعمهم يدلّ مذكورها على مغفلها.

فصل

في بيان تلبّيس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها

قال المصنّف -رحمه الله-: أمّا ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز، لأنّه حمل على النفس ما لا تطيق.

ثمّ إنّ الله -عزّ وجلّ- أكرم آدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن وأيّ غذاء في التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى ردّ.

وقد حكى أبو حامد عن سهل أنّه كان يرى أن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل.

قال المصنّف رحمه الله: وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنّه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلي قاعداً فقد تسبّب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثمّ أيّ قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة؟

وأما قول الحداد: وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج إليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع وأشار باليقين إلى قوة الصبر.

وهذا تخليط قبيح وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش في تشددهم حتى سمو بالحمس فجحدوا الأصل وشددوا في الفرع وقول الآخر ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمّن استعمل ما أبيع له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مردول لأن الإسراف ممنوع منه شرعا وهذا مأذون فيه.

وقد صحّ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه كان يأكل القثاء بالرطب وكان يحب الحلوى والعسل وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتي وعقلي سبعة أجزاء ففعل يذمّ به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب، لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذي قال ما أكلت إلى وقت أن يباح لي أكل الميتة فإنه فعل برأيه المرذول وحمل على النفس مع وجود الحلال.

وقول أبي يزيد القوت عندنا الله كلام ركيك فإن البدن قد بني على الحاجة إلى الطعام حتى إنّ أهل النار في النار يحتاجون إلى الطعام.

وأما التقيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذي طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فإنه فعل ما لا يحل له.

وقول إبراهيم له: أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضا؛ فإنه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر، ولو كان في رمضان، إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجوز له أن يصوم.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثني الأزهري ثنا علي بن عمر ثنا أبو حامد الحضرمي ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر

عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ أَصَابَهُ جَهْدٌ فِي رَمَضَانَ فَلَمْ يَفْطِرْ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عالياً محمّد ابن عبد الباقي نا أبو يعلى محمّد بن الحسين نا عليّ بن عمر السكري ثنا أحمد بن محمّد الأسدي ثنا عبد الرّحمن بن يونس فذكره وقال من أصابه جهد في رمضان فلم يفتّر دخل النار.

قال المصنّف -رحمه الله-: وأمّا تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيراداً مستحسننا لها إلّا جاهل بأصول الشّرع.

فأمّا العالم المتمكّن، فإنه لا يهوله قول معظم كيف بفعل جاهل مبرسم. وأمّا كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله -عزّ وجلّ- أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللّحم يقوي القوّة وتركه يضعفها ويسيء الخلق وقد كان رسول الله -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأكل اللّحم ويحب الذارع من الشاة ودخليوما فقدم إليه طعام من طعام البيت فقال لم أر لكم برمة تفور وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحماً.

وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله -عزّ وجلّ- لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرّة الصّفراء والمرّة السّوداء فتارة يزيد بعض الإخلاط فتميل الطّبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصّفراء، فيميل الطّبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النّفس إلى المرطّبات فقد ركب في الطّبع الميل إلى ما تميل إليه النّفس وتوافقه فإذا مالت النّفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت بحكمة الباري -سبحانه وتعالى- يردها ثمّ يؤثّر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشّرع والعقل ومعلوم أنّ البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ.

وإنما قلت علوم هؤلاء، فتكلموا بأرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئا.

ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال: لا ينبغي للمريد إذا تآقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجمع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه؟! قال المصنّف -رحمه الله-: وهذا قبيح في الغاية، فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغي أن لا يأكل إداما والماء شهوة أخرى.

أو ليس في الصحيح أنّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طاف على نسائه بغسل واحد؟! فهلاً اقتصر على شهوة واحدة؟! أو ليس في الصحيحين أنّ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يأكل القثاء بالرطب، وهاتان شهوتان؟! أو ما أكل عند أبي الهيثم¹ بن التيهان² خبزا وشواء وبسرا وشرب ماء باردا؟! أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالودج، ثم يقوم، فيصلّي؟!

¹ في الأصل: الهيثم.

² أبو الهيثم مالك بن التيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة الأنصاري حليف بني عبد الأشهل قاله جماعة. وقال عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري هو من الأوس من أنفسهم ثم قال هو ابن التيهان بن مالك بن عمرو بن زيد بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس وأمه من بني جشم المذكور. قال الواقدي كان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية يؤفف بما يقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة وكانا من أول من أسلم من الأنصار بمكة ويجعل في الثمانية الذين لقوا رسول الله بمكة ويجعل في الستة وفي أهل العقبة الأولى الإثني عشر وفي السبعين. آخى رسول الله بينه وبين عثمان بن مظعون. شهد بدرًا والمشاهد وبعثه رسول الله إلى خيبر خارصا بعد ابن رواحة. وعن محمد بن يحيى بن حبان أن أبا الهيثم بعثه رسول الله خارصا ثم بعثه أبو بكر فأبى وقال إني كنت إذا حرصت لرسول الله فرجعت دعا لي. وعن صالح بن كيسان قال توفي أبو الهيثم في خلافة عمر، وقال غيره توفي سنة عشرين. قال الواقدي هذا أثبت عندنا ممن روى أنه قتل بصفين مع علي.

أَوْ ما تَعْلِفُ الفرسَ الشَّعِيرَ والتَّبَنَ والقت؟! وتطعم النَّاقَةَ الخَبْطَ والحَمْضُ؟! وهل
البدن الاناقة؟!¹

وإنَّما نُهي بعضَ القَدَماءِ عن الجَمعِ بينِ إدامينِ على الدَّوامِ لئلاَّ يَتَّخِذَ ذلكَ عَادةً
فيحوجُ إلى كَلفةٍ وإنَّما يَجْتَنِّبُ فضولَ الشَّهواتِ لئلاَّ يَكونَ سببًا لكثرةِ الأكلِ وجلبِ التَّومِ،
ولئلاَّ تَتَعَوَّدَ فيقلَّ الصَّبْرُ عنها فيحتاجُ الإنسانُ إلى تَضْييعِ العَمرِ في كَسبِها وربما تناولها من
غَيرِ وجْهها.

وهذا طَريقُ السَّلَفِ في تركِ فضولِ الشَّهواتِ والحديثِ الذي احتجوا به احرموا
أنفُسَكم طيبَ الطَّعامِ حديثِ موضوعِ عملتهِ يدا بزيع الراوي.

وأما إذا أَقْتَصَرَ الإنسانُ على خبزِ الشَّعِيرِ والملحِ الجَريشِ فإنه يَنحرفُ مزاجه، لأنَّ
خبزِ الشَّعِيرِ يابسٌ مَجفَّفٌ والملحُ يابسٌ قابضٌ يضرُ الدماغَ والبصرَ وتقليلُ المَطعمِ يوجبُ
تنشيفَ المَعْدَةِ وضيقها وقد حكَى يوسفُ الهَمْدانيُّ عن شيخه عبدِ اللهِ الحَوفِيِّ أنَّه كانَ
يأكلُ خبزَ البلوطِ بغيرِ إدامٍ وكانَ أصحابُه يسألونَه أن يأكلَ شيئًا من الدَّهْنِ والدَّسوماتِ
فلا يفعلُ.

قال المصنَّف -رحمه اللهُ-: وهذا يورث القولنج الشديد واعلم أن المذموم من
الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارح -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ-.

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن أحمد ثني
أبي ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكناي ثنا يحيى بن جابر الطائي قال: سمعتُ
المقدام بن معدي كرب¹ يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: " ما ملأَ

¹ المقدام بن معد كرب بن عمرو الكندي أحد صحابة الرسول محمد بن عبد الله (ص)، وروى بعض الأحاديث. سكن مدينة حمص. وتوفي في بلاد الشام سنة 87 للهجرة. كان المقدام بن معدي كرب الكندي من فرسان العرب المشهورين. وكان له سيف يدعى الصمصام -أحد سيوف العرب المشهورة الثلاثة-. وكان أحد فرسان القادسية وشارك في حروب فتح فارس. وكان ذا جسم ضخم.

ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا بدّ فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه".

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظًا لها وسعيًا في مصلحتها ولو سمع أبقراط هذه القسمة في قوله ثلث وثلث وثلث لدعش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان في المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فإن نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد التَّقْصَانُ أضعف القوة وضيق المجاري على الطَّعام.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: واعلم أنّ الصّوفيّة إنّما يأمرّون بالتقليل شبانهم ومبتدئهم ومن أضرّ الأشياء على الشّباب الجوع فإنّ المشايخ يصرون عليه والكهول أيضا فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع.

وسبب ذلك: أنّ حرارة الشّباب شديدة فلذلك يجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت فإذا صابر الشاب الجوع وتفتته في أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرّقب أصول الحيطان ثمّ تمتدّ يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة في البدن فتغذيه بالأخلاق فيفسد الدّهن والجسم. وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: وذكر العلماء التقليل الذي يضعف البدن.

انظر ترجمته في: الاستيعاب [جزء 1-صفحة 467]؛ سنن أبي داود [جزء 2-صفحة 466]؛ سنن الترمذي [جزء 4-صفحة 187]؛ الاستيعاب [جزء 1-صفحة 467].

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال له عقبه بن مكرم: هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم فقال: ما يعجبني سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض قال: الخلال.

وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح قال: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: يا أبا سعيد إن ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية، فقال: لا تقرب هؤلاء فإننا قد رأينا من هؤلاء قوما أخرجهم الأمر إلى الجنون وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة ثم قال: خرج سفیان الثوري في سفر فشيّعته، وكان معه سفرة فيها فالودج، وكان فيها حمل قال: الخلال.

وأخبرني المروزي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وقال له رجل: إني منذ خمس عشرة سنة قد ولع بي إبليس وربما وجدت وسوسة أفكر في الله -عز وجل-، فقال: لعلك كنت تدمن الصوم، افطر وكل دسما وجالس القصاص.

قال المصنف -رحمه الله-: وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع في معدته أخلاط فجة فتغذي المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شيء تهضمه فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئا تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غداء وذلك الغذاء الرديء يخرج إلى الوسوس والجنون وسوء الأخلاق وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أرداداً المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر على الطعام أياما ويعينهم على هذا قوة الشباب، فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة، وإنما السبب مع عرفتك.

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال: حدثني أبي قال: كانت امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها فقالت كنت في حال الشباب أحد من نفسي أحوالا أظنها

قوة الحال فلما كبرت زالت عني، فعلمتُ أنّ ذلك كان قوّة الشّبَاب فتوهّمتهأ أحوالا قال: سمعتُ أبا عليّ الدقّاق يقول: ما سمع أحدٌ هذه الحكاية من الشيوخ إلّا رقّ لهذه العجوز وقال: إنّها كانت منصفه.

وقال المصنّف: فإن قيل: كيف تمنعون من التقلّل وقد روّيتم أنّ عمر -رضي الله عنه- كان يأكل كلّ يوم إحدى عشر لقمة، وأنّ ابن الزبير كان يبقى أسبوعاً لا يأكل، وأنّ إبراهيم التّميمي بقي شهرين؟

قلنا قد يجري للانسان من هذا الفنّ في بعض الأوقات غير أنّه لا يدوم عليه ولا يقصد التّرقّي إليه. وقد كان في السلف من يجوع عوزا وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه. وفي العرب من يبقى أيّاماً لا يزيد على شرب اللبن.

ونحن لا نأمر بالشبع إنّما ننهي عن جوع يضعف القوّة ويؤذي البدن وإذا ضعف البدن قلّت العبادة؛ فإن حملت البدن قوّة الشباب، جاء الشيب فأقذع بالراكب.

وقد أخبرنا محمّد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكي ثنا أبو يعقوب بن سعد النسائي ثنا جدي الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبي طلحة عن أنس -رضي الله عنه- قال: كان يطرح لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الصّاع من التّمر، فيأكله حتّى حشفه.

وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم أنّه اشترى زبدا وعسلا وخبزاً حوارى، فقليل له: هذا كله تأكله؟! فقال: إذا وجدنا أكلنا، أكل الرّجال؛ وإذا عدمنّا صبرنا، صبر الرّجال.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: وأما الشّرب من الماء الصّافي فقد تخيره رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-.

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أتى قوما من الأنصار يعود مريضا فاستسقى وجدول قريب منه، فقال: "إنَّ عندكم ماء بات في شئ، وإلا كرعنا". أخرج به البخاري.

وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين بن اسماعيل المخاملي ثنا محمد بن عمرو بن أبي مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يستقي له الماء العذب من بئر السقيا.

قال المصنّف: وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصى في الكلى والستد في الكبد.

وأما الماء البارد، فإنه اذا كانت برودته معتدلة، فإنه يشدّ المعدة ويقوي الشهوة ويجسّن اللون ويمنع عفن الدّم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة. وإذا كان الماء حارا أفسد المضم وأحدث التّرهّل وأذبل البدن وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشّمس خيف منه البرص.

وقد كان بعض الزّهّاد يقول: إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت.

وكذلك قال أبو حامد الغزالي: إذا أكل الإنسان ما يستلذه، فسا قلبه وكره الموت؛ واذا منع نفسه شهواتها وحرّمها لذاتها، اشتتت نفسه الإفلات من الدّنيا بالموت. قال المصنّف -رحمه الله-: وا عجبًا كيف يصدر هذا الكلام من فقيه؟! أترى لو تقلّبت النّفس في أيّ فنّ كان من التعذيب ما أحبّت الموت؟!!

ثم كيف يجوز لنا تعذيبها، وقد قال -عز وجل-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾¹،
ورضي منا بالإفطار في السفر رفقا بها، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ
الْعُسْرَ﴾²!

أو ليست مطيبتنا التي عليها وصولنا:

وكيف لا نأوي لها وهي التي بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبي يزيد نفسه بترك الماء سنة فإنها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة
إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقا ومنع الحق مستحقه ظلم ولا يحل للإنسان أن
يؤذي نفسه ولا أن يقعد في الشمس في الصيف بقدر ما يتأذى ولا في الثلج في الشتاء
والماء يحفظ الرطوبات الأصلية في البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فإذا منعها
أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ وكذلك منعه إياها
النوم.

قال ابن عقيل: وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم يدل عليه
أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزي، فإن فعله أعاده الإمام.
وهذه النفوس ودائع الله -عز وجل- حتى أن التصرف في الأموال لم يطلق
لأربابها إلا على وجوه مخصوصة.

قال المصنف -رحمه الله-: قلت: وقد روينا في حديث الهجرة أن النبي -صلى الله
عليه وسلم- تزود طعاما وشرابا وأن أبا بكر فرش له في ظل صخرة وحلب له لبنا في قدح
ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله وكل ذلك من الرفق بالنفس.
وأما ما رتبته أبو طالب المكّي فحمل على النفس بما يضعفها وإنما يمدح الجوع إذا
كان بمقدار وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ.
وأما ما صنّفه الترمذي، فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد.
وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة؟!

¹ سورة النساء (4)، الآية 29.

² سورة البقرة (2)، الآية 185.

وما فائدة قطع الفواكه المباحة؟!
وإذا لم ينظر في الكتب، فبأي سيرة يقتدي؟!
وأما الأربعينيّة، فحديث فارغ ربّوه على حديث لا أصل له: من أخلص لله
أربعين صباحاً لم يجب الإخلاص¹ أبداً؛ فما وجه تقديره بأربعين صباحاً؟!
ثمّ لو قدرنا ذلك، فالإخلاص عمل القلب، فما بال المطعم؟!
ثمّ ما الذي حسّن منع الفاكهة ومنع الخبز؟!
وهل هذا كلّهُ إلّا جهل؟!!

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال: حدثنا أبي قال: حجج
السّوفية أظهر من حجج كلّ أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كلّ مذهب، لأنّ
النّاس إمّا أصحاب نقل وأثر، وإمّا أرباب عقل وفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن
هذه الجملة والذي للنّاس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والنّاس أهل الاستدلال
فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلّا
غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدرّج.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط
فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود في الناس وليس أحد من الخلق إلّا وهو
مستدلٌّ وذكر الوصال حديث فارغ.

فنسأل الله -عزّ وجلّ- العصمة من تخليط المريدين والأشياخ. والله الموفق.

فصل

في ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم

أخبرنا يحيى بن علي المدبر نا أبو بكر محمّد بن علي الخياط ثنا الحسن بن الحسين
بن حركان ثنا عبدان بن يزيد العطار وأخبرنا محمّد بن أبي منصور أنبأنا الحسن بن أحمد

¹ من حب الشّيء إذا قطع.

الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البرورجردي ثنا عمير بن مرداس قالاً: حدّثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري عن عبيد الله بن عمر عن عليّ بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال: يا رسول الله غلبني حديث النفس، فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك، فقال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وما تحدثك نفسك يا عثمان؟"، قال: تحدّثني نفسي بأن أحتصي، فقال: "مهلا يا عثمان، فإنّ خصي أمّتي: الصّيام"، قال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدّثني أن أتربّ في الجبال قال: "مهلا يا عثمان فإن تهرب أمّتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة" قال يا رسول الله فإن نفسي تحدّثني بأن أسيح في الأرض قال: "مهلا يا عثمان فإن سياحة أمّتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة" قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدّثني بأن أخرج من مالي كله قال: "مهلا يا عثمان فإن صدقتك يوماً ويوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك" قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدّثني بأن أطلق حولة امرأتي قال: "مهلا يا عثمان فإن هجرة أمّتي من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إليّ في حياتي أو زار قبري بعد موتي أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع" قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدّثني أن لا أعشاهها، قال: "مهلا يا عثمان فإنّ الرجل المسلم إذا غشي أهله فإن لم يكن من وقته تلك ولد كان له وصيف في الجنة فإن كان من وقته تلك ولد فإن مات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نورا يوم القيامة" قال: يا رسول الله فإنّ نفسي تحدّثني أن لا آكل اللحم، قال: "مهلا يا عثمان فاني أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربّي أن يطعمني إياه كل يوم لأطعمني" قال: يا رسول الله فإنّ نفسي تحدّثني أن لا أمس طيباً قال: "مهلا يا عثمان فإنّ جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثمّ مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي".

قال المصنّف -رحمه الله-: هذا حديث عمير بن مرداس.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن ذكين ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن أبي بردة¹ قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فرأيتها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك؟ قالت: ما لنا منه شيء أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم؛ فدخلن إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فذكرن ذلك له، فلقيه فقال: "يا عثمان أملك بي أسوة؟"، فقال: بأبي وأمي أنت وما ذاك، قال: "تصوم النهار وتقوم الليل؟" قال: "إني لأفعل، قال: "لا تفعل، إن لعينك عليك حقًا، وإن لجسدك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا".

فصل

"ونم وصم وافطر"

قال ابن سعد: وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمي عن أبي قلابة أنّ عثمان بن مظعون اتخذ بيتا، فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: "يا عثمان إن الله - عز وجل - لم يعثني بالزُهبانة - مرتين أو ثلاثا -، وإن خير الدّين عند الله: الخنيفة السّمحة".

¹ هو أبو بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري. الفقيه العلامة قاضي الكوفة. حدّث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة وآخرين. حدث عنه حفيده أبو بردة يزيد بن عبد الله بن أبي بردة، وابنه بلال بن أبي بردة الأمير، وثابت البناني، وقتادة، وبكير بن الأشج، وأبو إسحاق الشيباني، وابنه سعيد بن أبي بردة، وطلحة بن يحيى، وحكيم بن الديلم، وأبو يوسف، وحמיד بن هلال، وأبو عبد الأعلى بن أبي المساور، وخلق سواهم. وكان من أوعية العلم حجة باتفاق اسمه عامر فيما قيل. وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثمّ عزله الحجاج وولي أخاه أبا بكر بن أبي موسى. قال أبو نعيم: مات أبو بردة سنة أربع ومائة، وقال الواقدي: مات سنة ثلاث ومائة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال: قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد مسلم: ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالي قال: أسلمت وأتيت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأخبرته بإسلامي، فمكثت حولاً ثم أتته وقد ضمرت ونخل جسمي فخفض في البصر ثم صعده قلت: أما تعرفني؟ قال: "ومن أنت؟"، قلت: أنا كهمس الهلالي، قال: "فما بلغ بك ما أرى؟" قلت: ما أفطرت بعدك نحاراً ولا نمت ليلاً، قال: "ومن أمرك أن تعدب نفسك؟! صم شهر الصبر، ومن كل شهر يوماً"، قلت: زدني، قال: "صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين"، قلت: زدني قال: "صم شهر الصبر، ومن كل شهر ثلاثة أيام".

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدي نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا عبده بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ناساً من أصحابه أحتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعدوا فيه وعيدا شديداً وقال: "لو كنت تقدّمت فيه لفعلت"، ثم قال: "إني لم أرسل بالزهبانية، إنّ خير الدين الحنيفية السمحة".

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد روينا في حديث آخر عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "إن الله -عز وجل- يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في مأكله ومشربه".

وقال بكر بن عبد الله: من أعطى خيراً، فرؤي عليه، سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله -عز وجل-؛ ومن أعطى خيراً، فلم ير عليه سمي بغيض الله -عز وجل- معادياً لنعمة الله -عز وجل-.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: وهذا الذي نهيينا عنه من التقلل الزائد في الحد قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همّتهم في المأكل كما كانت همّة متقدميهم في الجوع لهم الغداء والعشاء والحلوى وكلّ ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة وقد تركوا كسب الدنيا وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همّة لأكثرهم إلا الأكل واللعب فإن أحسن محسن منهم قالوا: طرح شكرا وإن أساء مسيء قالوا: استغفر ويسمون ما يلزمه إياه واجبا وتسمية ما لم يسمه الشرع واجبا جنافية عليه.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمّد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمّد بن أحمد بن عبد الله بن محمّد الحافظ النيسابوري ثنا أبو زكريا يحيى بن محمّد العنبري ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمّد بن عبدوس السراج البغدادي قال: قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقصّ على النّاس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال: من يطعمنا إرزة في الله؟ فقام شاب من المجلس فقال: أنا، فقال: إجلس -يرحمك الله- فقد عرفنا موضعك ثمّ قام الثّانية ذلك الشابّ، فقال: إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلا ملح.

ثمّ قال أبو مرحوم: علي بخوان خماسي وخمس مكايك أرز وخمسة أمان سمن وعشرة أمان سكر وخمسة أمان صنوبر وخمسة أمان فستق فجيء بها كلها فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها أحرقت فيها أثمارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثمّ أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها مجرأة فيها أثمارها فقال: يا إخواني إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر فألقى فيها.

ثمّ أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدّنيا؟ قالوا: مشرق لونها مبيض شمسها مجرى فيها أثمارها وقد غرست فيها أشجارها وقد تدلت لنا ثمارها قال: يا إخواني ارموا الدنيا بحجارتها قال فأتى بذلك السكر فألقى فيها.

ثمّ أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أثمارها وقد غرست فيها أشجارها وقد تدلت

لنا ثمارها فقال: يا إخواني ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها قال فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس.

قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبي حاتم الرازي، فقال: إمله علي فأمليته عليه فقال هذا شأن الصوفية.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم اختار من الطعام فرما ملاً كمية من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخاً منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه.

ذكر تلبيس إبليس على الصّوفيّة في السّماع والرّقص والوجد

قال المصنّف -رحمه الله-: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين:
- أحدهما: أنّه يلهي القلب عن التّفكّر في عظمة الله - سبحانه - والقيام بخدمته.
- والثّاني: أنّه يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشّهوات
الحسّيّة ومعظمها النّكاح وليس تمام لذّته إلّا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجدّدات
من الحلّ فلذلك يحثّ على الرّزنا فيبين الغناء والرّزنا تناسب من جهة أنّ الغناء لذّة الرّوح
والرّزنا أكبر لذات النّفس ولهذا جاء في الحديث: "الغناء رقية الرّزنا".

وقد ذكر أبو جعفر الطّبري أنّ الذي اتّخذ الملاهي رجل من ولد قاييل يقال له
ثوبال اتّخذ في زمان مهلائيل بن قينان آلات اللّهُو من المزامير والطبول والعيّدان فانهمك
ولد قاييل في اللّهُو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت
الفاحشة وشرب الخمر.

قال المصنّف -رحمه الله-: وهذا لأنّ الالتذاذ بشيء يدعو إلى التذاذه بغيره
خصوصا ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الأصوات المحرمة
كالعود نظر إلى المغنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنّما
مراده التدرّج من شيء إلى شيء.

والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج وتأمّل المقاصد فان النظر إلى الأمر مباح ان
أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز وتقبيّل الصبيّة التي لها من العمر ثلاث سنين جائزا
إذ لا شهوة تقع هناك في الأغلب فإن وجد شهوة حرم ذلك وكذلك الخلوة بذوات المحارم
فإن خيف من ذلك حرم.
فتأمّل هذه القاعدة.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة.

وفصل الخطاب: أن نقول: ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج في الطّرقات فإنّ أقوامًا من الأعاجم يقدّمون للحجّ، فينشدون في الطّرقات أشعارًا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وربّما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إيّاها ممّا يطرب ويخرج عن الاعتدال وفي معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعارا يخرسون بها على الغزو وفي معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخرا عند النزال.

وفي معنى هذا أشعار الحدّاة في طريق مكّة كقول قائلهم:

بشرها دليلها وقال
غدا ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمي إلّا أنّ ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا أحمد بن سليمان الطوسي ثنا الزبير بن بكار ثني إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحتري وهب عن طلحة المكي عن بعض علمائهم أنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال: إن حاديننا نام¹ فسمعنا حادينكم فملت إليكم، فهل تدرون أئى كان الحداء؟ قالوا: لا والله، قال: إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف

¹ في النسخة الثانية: أن حاديننا ونا أي تعب.

غلامه فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح يا يداه يا يداه¹ فسمعت الإبل ذلك فعطفت عليه فقال مضر: لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت فاشتقت الحداء. قال المصنّف -رحمه الله-: وقد كان لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حاد يُقال له أنجشة يحدو فتعنى² الإبل.

فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير". وفي حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى خير، فسزنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنياتك؟ وكان عامر رجلاً شاعرًا، فنزل يحدو بالقول يقول:

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكينه علينا وثبت الاقدام إذ لا قينا

قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "من هذا السائق"؟ قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: "يرحمه الله".

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد روينا عن الشافعي -رضي الله عنه- أنه قال: أمّا أستماع الحداء ونشيد الأعراب، فلا بأس به.

قال المصنّف -رحمه الله-: ومن إنشاد العرب: قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليهم:-

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ومن هذا الجنس كانوا يثشرون أشعارهم بالمدينة، وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده.

¹ في النسخة الثانية: وايداه مرة فقط.

² العنق بفتحيتين: نوع من السير سريع فسيح.

ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثني الزهري¹ عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أنّ أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدقين ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسجّي عليه بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن وجهه وقال: "دعهنّ يا أبا بكر، فإنّهما أيام عيد". أخرجاه في الصحيحين. قال المصنّف -رحمه الله-: والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السنّ، لأنّ عائشة كانت صغيرة، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسرب² إليها الجوّاري فيلعبن معها.

وقد أخبرنا محمّد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد بن جعفر بن محمّد حدثهم قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين: أي شيء من هذا الغناء؟ قال: غناء الركب أتيناكم أتيناكم، قال: الخلال.

¹ هو أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبّيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري، أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة. رأى عشرة من الصحابة -رضوان الله عليهم-. وروى عنه جماعة من الأئمة: منهم مالك بن أنس، وسفيان بن عيينه، وسفيان الثوري. كان قد حفظ علم الفقهاء السبعة. وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه. توفي الزهري ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وقيل ثلاث وعشرين، وقيل خمس وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين -وقيل ثلاث- وسبعين سنة. وقيل مولده سنة إحدى وخمسين للهجرة. ودفن في ضيعة أدامي.

حول ترجمته راجع: ابن خلكان، وقيّات الأعيان، ج4/ص177 إلى ص179؛ المعارف، ص472؛ حلية الأولياء، ج3/ص360؛ طبقات الشيرازي، ص63؛ معجم الشعراء للمرزباني، ص345؛ صفة الصفوة، ج2/ص77؛ ميزان الاعتدال، ج4/ص40؛ تهذيب التهذيب، ج9/ص445؛ غاية النهاية، ج2/ص262؛ الشذرات، ج1/ص162.

² في الثانية: وهو تفسير يسرب.

وحدّثنا أحمد بن فرج الحمصي ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نُهبة عن عائشة
-رضي الله عنها- قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار، فزوَّجناها رجلاً من
الأنصار، فكنّت فيمن أهداها إلى زوجها، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يا
عائشة: "إن الأنصار اناس فيهم غزل" فما قلت قالت دعونا بالبركة قال أفلا قلت:

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحم
ر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السّمراء
لم تسمن عذارىكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي
ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجليح عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله -رضي الله
عنه- قال قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعائشة -رضي الله عنها-: أهديتم
الجارية إلى بيتها؟ قالت: نعم، قال: "فهالاً بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم

فإنّ الأنصار قوم فيهم غزل؟".

قال المصنّف -رحمه الله-: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغيّون به وليس ممّا يطرب
ولا كانت دفوفهنّ على ما يعرف اليوم.

ومن ذلك أشعار ينشدها المترهّدون بتطريب وتلحين ترعج القلوب إلى ذكر
الآخرة ويسموّنها الزهديات كقول بعضهم:

يا غاديا في غفلة ورائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا
إلى متى تستحسن القبائحا
كيف تجنبت الطريق
يا عجبا منك وأنت مبصر

الواضحا

فهذا مباح أيضا وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل في الاباحة فيما أنبأنا به أبو عبد
العزیز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالي ثنا الفضل الكندي قال:
سمعتُ عبدوس يقول: سمعتُ أبا حامد الخلفاني يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله

هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال مثل أي شيء؟
قلتُ: يقولون:

إذا ما قال لي ربّي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني
فقال: أعد عليّ، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته وردّ الباب، فسمعتُ نحيبه من
داخل البيت، وهو يقول:

إذا ما قال لي ربّي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني
ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح يثيرون بما الأحزان والبكاء، فينهي عنها لما في
ضمناها¹.

فأما الأشعار التي ينشدها المغنّون المتهيّون للغناء ويصفون فيها المستحسنات
والخمر وغير ذلك ممّا يحرّك الطّباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حبّ اللّهُو،
وهو الغناء المعروف في هذا الزّمان، مثل قول الشّاعر:

ذهبي اللّون تحسب من وجنتيه النّار تقتدح
خوفوني من فضيحتة ليته وافي واقتضح
وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحانًا مختلفة كلّها تخرج سامعها عن حيّز الاعتدال وتثير
حبّ الهوى ولهم شيء يسمّونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثمّ يأتون بالنشيد بعده
فيجمع القلوب وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيبي والإيقاع به على وفق الإنشاد
والدف بالجلجل والشّبابة التّائبة عن الزمر، فهذا الغناء المعروف اليوم.

فصل

¹ كذا في النسختين: وقد سقط ذكر العلة.

قال المصنّف -رحمه الله-: وقبل أن نتكلّم في إباحته أو تحريمه أو كراهته نقول ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه ويحذر تلبس إبليس في إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التي يطلق عليها اسم الغناء فلا يحمل الكل محملا واحدا فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان فنبداً بالكلام في النصيحة للتّمس والإخوان.

فنقول: معلوم أنّ طباع الأدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فإذا ادّعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره في دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضا خرج به عن حيّز الاعتدال فإن تعلّل فقال إنّما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبرا فأتعجّب من حسن الصّنع في دعج العينين ورقة الأنف ونقاء البياض قلنا له في أنواع المباحات ما يكفي في العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة فان ميل الطبع شاغل عن ذلك.

وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدّنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي إلى حبّ الدّنيا الموصوفة فيه فإنّنا نكذبه لموضع اشتراك الطّباع.

ثمّ إن كان قلبه بالخوف من الله -عزّ وجلّ- غائبا عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطّبع وإن كانت قد طالت غيبته في سفر الخوف وأقبح القبيح البهجة ثمّ كيف تمر البهجة على من يعلم السرّ وأخفى.

ثمّ إن كان الأمر كما زعم هذا المتصوّف، فينبغي أن لا نبوجه إلّا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الأطلاق للشباب المبتدئ والصبيّ الجاهل حتّى قال أبو حامد الغزالي إن التّشبيب بوصف الخدود والأصداع وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النّساء الصّحيح أنّه لا يحرم.

قال المصنّف -رحمه الله-: فأما من قال إنّ لا أسمع الغناء للدّنيا وإنّما أخذ منه إشارات، فهو يخطئ من وجهين:

- أحدهما: أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات، فيكون كمن قال: إني أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لا تفكر في الصنعة.
- والثاني: أنه يقل فيه وجود شيء يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق -تبارك وتعالى- أن يقال في حقه أنه يعشق ويقع الهيمان به وإنما نصيبنا من معرفته: الهيبة والتعظيم فقط. وإذا قد أنتهت النصيحة، فنذكر ما قيل في الغناء.

فصل

أما مذهب أحمد -رحمه الله- فإنه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الرهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال: الغناء ينبت التفاق في القلب لا يعجبني.
وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفي أنه سئل عن استماع القصائد فقال: أكرهه هو بدعة ولا يجالسون.
وروى عنه أبو الحارث¹ أنه قال: التغيير² بدعة، فقليل له: أنه يرقق القلب، فقال: هو بدعة.

وروى عنه يعقوب الهاشمي: التغيير بدعة محدث.
وروى عنه يعقوب بن غياث³: أكره التغيير، وأنه نهي عن استماعه.

¹ هو حرب بن إسماعيل الكرماني هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني الحنظلي، الحافظ الفقيه تلميذ أحمد بن حنبل. وشيوخه: أحمد بن حنبل. إسحاق بن راهويه. أبو الوليد الطيالسي. عبد الله بن الزبير الحميدي. سعيد بن منصور. وتلاميذه: أبو حاتم الرازي. أبو بكر الخلال. القاسم بن محمد الكرماني. عبد الله بن إسحاق النهاوندي. توفي الامام حرب بن إسماعيل الكرماني سنة 280 هـ.
² في النسخة الثانية يعقوب بن محيان ولفظ التغيير هو تغيير الذكر بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد في صحيفة 230.
³ في نسخة الطباخ.

قال المصنّف: فهذه الروايات كلّها دليل على كراهية الغناء.

قال أبو بكر الخلال: كره أحمد القصائد لما قيل له إنهم يتماجنون؛ ثمّ روى عنه ما يدلّ على أنّه لا بأس بها.

قال المرزوي: سألت أبا عبيد الله عن القصائد، فقال: بدعة، فقلت له: إنهم يهجرون، فقال: لا يبلغ بهم هذا كلّه.

قال المصنّف: وقد روي أنّ أحمد سمع قولا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه، فقال له صالح: يا أبت أليس كنت تنكر هذا؟ فقال: إنّما قيل لي إنهم يستعملون المنكر، فكهرته؛ فأما هذا، فأني لا أكرهه.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء وإنّما أشار إلى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد.

ويدلّ على ما قلت: أنّ أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولدًا وجارية مغنّية، فاحتاج الصبيّ إلى بيعها، فقال: لا تباع على أنّها مغنّية، فقيل له: إنّها تساوي ثلاثين ألف درهم، ولعلّها إذا بيعت ساذجة تساوي عشرين دينارًا، فقال: لا تباع إلاّ على أنّها ساذجة.

قال المصنّف: وإنّما قال هذا، لأنّ الجارية المغنّية لا تعنيّ بقصائد الزهديات، بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق.

وهذا دليل على أنّ الغناء محظور، إذ لو لم يكن محظورًا ما أجاز تفويت المال على اليتيم وصار هذا كقول أبي طلحة للبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: عندي خمر لأيتام، فقال: أرقها؛ فلو جاز استصلاحها، لما أمره بتضييع أموال اليتامى.

وروى المرزوي عن أحمد بن حنبل أنّه قال: كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء؛ وهذا، لأنّ المخنث لا يعنيّ بالقصائد الزهدية إنّما يعنىّ بالغزل والنّوح.

فبان من هذه الجملة أنّ الروايتين عن أحمد في الكراهة وعدمها تتعلّق بالزهديات الملحنّة؛ فأما الغناء المعروف اليوم، فمحظور عنده.

كيف، ولو علم ما أحدث النَّاس من الزيادات!؟

فصل

قال المصنّف: وأمّا مذهب مالك بن أنس -رحمه الله-، فأخبرنا محمّد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمّد بن محمّد الديثي نا أبو بكر محمّد بن عمر الوراق نا محمّد بن السري بن عثمان التّمّار قالاً: أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن إسحاق بن عيسى الطّباع¹ قال: سألتُ مالك بن مالك بن أنس عن ما يترخّص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال: إنّما يفعلُه الفساق.

¹ في نسخة الطّباع.

أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري قال: أنبأنا أبو الطيب الطبري¹ قال: أمّا مالك بن أنس، فإنه نهي عن الغناء وعن استماعه، وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغتبية كان له ردّها بالعيب.
وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده، فإنه قد حكى زكريا الساجي أنه كان لا يرى به بأسًا.

فصل

¹ هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري، القاضي الفقيه الشافعي. كان ثقة صادقًا عارفًا بأصول الفقه وفروعه، محققًا في علمه، يقول الشعر على طريقة الفقهاء. تفقه بآمل على أبي عليّ الزجاجي صاحب ابن القاص. وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي وأبي القاسم بن كنج بجرجان؛ ثم ارتحل إلى نيسابور، وأدرك أبا الحسن الماسرجسي، فصحبه أربع سنين وتفقه عليه؛ ثم ارتحل إلى بغداد وحضر مجلس الشيخ أبي حامد الإسفرايني. وشرح مختصر المزني وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري. وصنّف في الأصول والمذهب والخلاف والجدل كتبًا كثيرة. وعليه اشتغل أبو إسحاق الشيرازي. واستوطن بغداد ووُلّي القضاء بربع كرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري؛ ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته. وكان مولده بآمل سنة 348 هـ، وتوفي في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه سنة 450 ببغداد. ودُفن من الغد في مقبرة باب حرب، وصُلّي عليه في جامع منصور.

حول ترجمته راجع ابن خلّكان، وقيّات الأعيان، ج2/ص512 إلى ص514؛ طبقات السبكي، ج3/ص176.

وأما مذهب أبي حنيفة¹ -رضي الله عنه- أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب الطبري قال: كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ، ويجعل سماع الغناء من الذنوب.

¹ هو أبو حنيفة التَّعمان بن ثابت بن مَاه، الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة. أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ونافع مولى عبد الله بن عمر وغيرهم. ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ليؤليه القضاء فأبى. وكان إمام القياس، فأسس مذهبه عليه. وُلد أبو حنيفة سنة 80 هـ. وتوفي في رجب سنة 150 هـ، وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلى القضاء، فلم يفعل.

حول ترجمته راجع: وقفيات الأعيان، ج5/ص405 إلى ص414؛ تذكرة الحفاظ، ص168؛ تاريخ بغداد، ج13/ص323؛ الجوهر المضية، ج1/ص26 إلى ص32؛ مرآة الجنان، ج1/ص309؛ عبر الذهبي، ج1/ص214؛ الشذرات، ج1/ص227؛ البداية والنهاية، ج10/ص107؛ التَّحجُّوم الزَّاهرة، ج2/ص12.

انظر أيضا: بروكلمان (التَّرجمة العربيَّة)، ج3/ص236 إلى ص245.

قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشَّعبي¹، وحماد، وسفيان الثوري، وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك.

¹ الشَّعبي (ع) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كِبَار -وذو كِبَار: قُيِّل من أقبال اليمن- الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي . ويقال: هو عامر بن عبد الله، وكانت أمُّه من سبي جُلُولاء . مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خَلَّت منها فهذه رواية. وقيل: وُلد سنة إحدى وعشرين. وقال محمَّد بن سعد هو من جَمِير، وعداده في همدان. رأى عليًّا -رضي الله عنه- وصَلَّى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة. وحَدَّث عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي موسى الأشعري، وعدي بن حاتم، وأسامة بن زيد، وأبي مسعود البدري، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وعائشة، وجابر بن سمرة وابن عمر، وعمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وكعب بن عجرة، وعبد الرَّحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، والتَّعمان بن بشير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وبريدة بن الحصيب، والحسن بن عليّ، وحبشي بن جنادة، والأشعث بن قيس الكندي، ووهب بن خُنَيْش الطائي، وعروة بن مُضَرِّس، وجابر بن عبد الله، وعمرو بن حريث، وأبي سريحة الغفاري، وميمونة، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت قيس، وأم هانئ، وأبي جحيفة السوائي، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن يزيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن أبزى، وعبد الله بن الزبير، والمقدام بن معد يكرب، وعامر بن شهر، وعروة بن الجعد البارقى، وعوف بن مالك الأشجعي، وعبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وأنس بن مالك، ومحمد بن صيفي، وغير هؤلاء الخمسين من الصحابة . وحدث عن علقمة، والأسود، والحارث الأعور، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، والقاضي شريح وعدة . روى عنه الحكم، وحماد، وأبو إسحاق، وداود بن أبي هند، وابن عون وإسماعيل بن أبي خالد، وعاصم الأحول، ومكحول الشامى، ومنصور بن عبد الرَّحمن الغُداني، وعطاء بن السائب، ومغيرة بن مقسم، ومحمَّد بن سوقة، ومجالد، ويونس بن أبي إسحاق، وابن أبي ليلي، وأبو حنيفة، وعيسى بن أبي عيسى الحنَّاط، وعبد الله بن عياش المُنْتوف، وأبو بكر الهذلي، وأمم سواهم. قال: وأقام بالمدينة ثمانية أشهر هاربا من المختار، فسمع من ابن عمر وتعلَّم الحساب من الحارث الأعور، وكان حافظا وما كتب شيئا قطَّ شعبة، عن منصور بن عبد الرَّحمن، عن الشعبي، قال: أدركت خمس مائة من أصحاب النَّبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قال إسماعيل بن مجالد، وخليفة، وطائفة: مات الشعبي سنة أربع ومائة زاد ابن مجالد : وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة. وقال الواقدي: مات سنة خمس ومائة عن سبع وسبعين سنة . وفيهما أرخه محمد بن عبد الله بن نمير. وقال الفلاس: في أول سنة ست ومائة وقال يحيى: سنة ثلاث ومائة والأول أشهر.

قال: ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى
عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأساً.

فصل

وأما مذهب الشافعي -رحمة الله عليه-: قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد بن
أحمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث
ثنا محمد بن إبراهيم بن جواد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروي قال: سمعتُ محمد بن
إدريس الشافعي يقول: خلّفتُ بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التّغيير يشغلون به
النّاس عن القرآن.

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد ذكر أبو منصور الأزهري المغيرة قوم يغيّرون بذكر
الله بدعاء وتضريح، وقد سمّوا ما يطربون فيه من الشّعْر في ذكر الله -عزّ وجلّ- تغييراً،
كأنّهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا، فسمّوا مغيرة لهذا المعنى.
وقال الزّجاج: سمّوا مغيرين لتزهدهم النّاس في الفاني من الدّنيا وترغيبهم في
الآخرة.

وحدّثنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيّب طاهر بن عبد الله الطّبري قال:
قال الشّافعي: الغناء هوّ مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه شهادته.
قال: وكان الشّافعي يكره التّغيير.

قال الطّبري فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه.
وإنّما فارق الجماعة: إبراهيم بن سعد¹، وعبيد الله العنبري.
وقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "عليكم بالسّواد الأعظم، فإنّه من
شدّ شدّ في النّار"، وقال: "من فارق الجماعة، مات ميتة جاهليّة".

¹ في النسخة الثانية: سعيد هنا وفيما تقدم عنه.

قال المصنّف: قلتُ: وقد كان رؤساء أصحاب الشّافعي - رضي الله عنهم - ينكرون السّماع. وأمّا قدامؤهم، فلا يُعرّف بينهم خلال. وأمّا أكابر المتأخّرين، فعلى الإنكار منهم أبو الطيّب الطّبري؛ وله في ذمّ الغناء والمنع كتاب مصنّف.

حدّثنا به عنه أبو القاسم الحريري، ومنهم القاضي أبو بكر محمّد بن مظفر الشّامي: أنبأنا عبد الوهّاب بن المبارك الانمطي عنه قال: لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضّرب بالقضيب.

قال: ومّن أضاف إلى الشّافعي هذا، فقد كذب عليه.

وقد نصّ الشّافعي في كتاب أدب القضاء على أنّ الرّجل إذا دام على سماع الغناء، زُدّت شهادته وبطلت عدالته.

قال المصنّف - رحمه الله -: قلتُ: فهذا قول علماء الشّافعية وأهل التّدوين منهم. وإنّما رخص في ذلك من متأخّريهم من قلّ علمه وغلبه هواه.

وقال الفقهاء من أصحابنا: لا تقبل شهادة المغني والرّقاص - والله الموفق -.

فصل

في ذكر الأدلّة على كراهية الغناء والتّوح، والمنع منهما

قال المصنّف: وقد استدلّ أصحابنا بالقرآن، والسنة، والمعنى.

فأمّا الاستدلال من القرآن، فثلاث آيات:

- الآية الأولى: قوله - عزّ وجلّ - : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾¹.

¹ سورة لقمان (31)، الآية 6.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالاً: نا أبو محمّد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله بن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال: قال حميد الخياط: أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبيرة عن أبي الصهباء قال: سألت ابن مسعود عن قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾¹ قال: هو والله الغناء.

أخبرنا عبد الله بن عليّ المقرئ ومحمّد بن ناصر الحافظ قالاً: نا طراد بن محمّد نا أبي بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾². قال: هو الغناء وأشباؤه.

أخبرنا عبد الله بن محمّد الحاكم ويحيى بن علي المدبر قالاً: نا أبو الحسين بن النقوم نا ابن حياة ثنا البغوي ثنا هديبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾³. قال: الغناء.

أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي نا أحمد بن جعفر بن مسلم نا أحمد بن محمّد الخالق ثنا أبو بكر المرزوي ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبده ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار قال: سألت عكرمة عن لهو الحديث قال: الغناء، وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة وإبراهيم النخعي.

- الآية الثانية: قوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾⁴.

¹ سورة لقمان (31)، الآية 6.

² سورة لقمان (31)، الآية 6.

³ سورة لقمان (31)، الآية 6.

⁴ سورة النجم (53)، الآية 61.

أخبرنا عبد الله بن عليّ نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله بن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾¹.

قال: هو الغناء بالحميرية سمد لنا غنى لنا.

وقال مجاهد: هو الغناء؛ يقول أهل اليمن: سمد فلان، إذا غنى.

- الآية الثالثة: قوله -عز وجل-: ﴿وَاسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾².

أخبرنا موهوب بن أحمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهري نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسي ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد: ﴿وَاسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾³ قال: هو الغناء والمزامير.

أما السنّة: أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى ابي ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنه- أنّه سمع صوت زمارة راع، فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع أسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال: رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سمع زمارة راع، فصنع مثل هذا.

قال المصنّف -رحمه الله-: إذا كان هذا فعلهم في حقّ صوت لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل الزّمان وزمورهم؟!

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد التّصبيي ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الأنباري ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك

¹ سورة النّجم (53)، الآية 61.

² سورة الإسراء (17)، الآية 64.

³ سورة الإسراء (17)، الآية 64.

البزار ثنا ابن ابي مرزم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: نهى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن وقال: ثمنهن حرام وقرأ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾¹.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا أبو منصور محمد بن محمد المقرئ نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجمحي ثنا منصور بن أبي الأسود عن أبي الملهب عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: نهى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن بيع المغنيات، وعن التجارة فيهن، وعن تعليمهن الغناء، وقال: "ثمنهن حرام".

وقال في هذا أو نحوه أو وقال شبهه نزلت علي: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾².

وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء إلا بعث الله له شيطانين يرتدان، أعنى: هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب؛ ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره، حتى يكون هو الذي يسكت.

وروت عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "إن الله -عز وجل- حرّم المغنية، وبيعها، وثمنها، وتعليمها، والاستماع إليها؛ ثم قرأ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ﴾"³.

وروى عبد الرحمن بن عوف عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "إنما نُهِيت عن صوتين أحمرين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة".

أخبرنا ظفر بن علي نا أبو علي الحسن بن أحمد المقتدي نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن علي بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان

¹ سورة لقمان (31)، الآية 6.

² سورة لقمان (31)، الآية 6.

³ سورة لقمان (31)، الآية 6.

المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح¹ عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فإذا ابنه إبراهيم يجود نفسه، فأخذه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فوضعه في حجره، ففاضت عيناه، فقلت: يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء؟ فقال: "لست أنهي عن البكاء إنما نهييت عن صوتين أحققين فاجريين صوت عند نعمة لعب وهُو، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة ضرب وجه، وشق جيوب ورثة شيطان".

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفيير عن مالك بن نحم التقة عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "بعثت بدم المزمار والطبل".

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "بعثت بكسر المزامير".

¹ أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان (27 هـ-114 هـ) مولى آل أبي خيثم الفهري القرشي من أصول نوية، فقيه عالم محدث، من أجلاء الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجريين. ولد عطاء بن أبي رباح في الجند، إحدى ضواحي مدينة تعز وتتبع المناطق الوسطى لليمن، وهي نفس المدينة التي مكث فيها معاذ بن جبل عندما أرسله المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- لنشر تعاليم الإسلام والعمل على دعوة أهل اليمن. نشأ بمكة، وتعلم من علمائها. أخذ عن عائشة وأبي هريرة وأم سلمة وأم هانئ وابن عباس وعبد الله بن عمرو وابن عمر وجابر وابن الزبير ومعاوية وأبي سعيد وعدة من الصحابة ومن التابعين، حدث عن عبيد بن عمير ومجاهد وعروة وابن الحنفية وغيرهم كثير. وأخذ عنه الأوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة والليث. وحدث عنه مجاهد بن جبر، وأبو إسحاق السبيعي، وعمرو بن دينار، وقتادة، وعمرو بن شعيب، والأعمش، وأيوب السخيتي، ويحيى بن أبي كثير، وكثير غيرهم. توفّي في مكة سنة أربع عشرة.

أخبرنا أبو الفتح الكروجي نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العورجي قالاً: نا الجراحي ثنا الحبوبي ثنا الترمذي ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرّج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء"، فذكر منها: "إذا اتّخذت القيان والمعازف".

قال الترمذي: وحدّثنا عليّ بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الحدامي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إذا اتّخذ اتّخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزّكاة مغرماً وتعلّم لغير الدّين وأطاع الرّجل امرأته وعقّى أمّه وأدنى صديقه وأقضى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أزدلهم وأكرم الرّجل مخافة شرّه وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك رجاً حمراء وزلزلة وحسناً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع".

وقد روي عن سهل بن سعد عن النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّه قال: "يكون في أمتي خسف وقذف ومسح"، قيل: يا رسول الله متى؟ قال: "إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر".

أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري في كتاب السنن لابن ماجه قال: نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسدبادي نا أبو منصور المقومي نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبي الرّبيع الجرجاني ثنا عبد الرزاق أخبرني يحيى بن العلاء أنّه سمع مكحولاً يقول إنّ سمع يزيد بن عبد الله يقول: إنّ سمع صفوان بن أمية¹ قال: كنا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

¹ صفوان بن أمية، ابن خلف بن وهب بن حدافة بن وهب القرشي، أحد الرؤساء. هرب من النبيّ محمد بن عبد الله (ص) عام الفتح، ثمّ جاء فأسلم وحسن إسلامه، وكان الذي استأمن له عمير بن وهب الجمحي، وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية، وقدم به في وقت صلاة العصر فاستأمن له فأمنه النبيّ أربعة أشهر، واستعار منه أدرعاً وسلاحاً ومالاً. حضر صفوان حينئذ مشركاً، ثمّ أسلم ودخل

وَسَلَّمَ-، فجاء عمرو بن قرّة، فقال: يا رسول الله إن الله -عزّ وجلّ- قد كتب على الشّفوة، فما أراي أرزق إلّا من دقيّ بكفّي؛ فأذن لي في الغناء في غير فاحشة، فقال له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين! كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالاً طيباً، فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله! ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت! قم عني وتب إلى الله -عزّ وجلّ-! أمّا إنك لو قلتَ بعد التّقدمة إليك ضربتك ضرباً وجيعاً، وحلقت رأسك مثله، ونفيتك من أهللك واحللت سلبك نهبه لفتيان المدينة!"؛ فقام عمرو وبه من الشرّ والخزي ما لا يعلمه إلّا الله -عزّ وجلّ-.

فلما ولى، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله -عزّ وجلّ- عرياناً لا يستتر بمهدة، كلّما قام صرع".
وأما الآثار، فقال ابن مسعود: الغناء ينبئ التّفاق في القلب، كما ينبئ الماء البقل.

وقال: إذا ركب الرّجل الدابة ولم يسم ردفه الشّيطان وقال: تغنه، فإن لم يحسن قال: له تمّنه".

ومرّ ابن عمر -رضي الله عنه- بقوم محرّمين وفيهم رجل يتغني، قال: ألا لا سمع الله لكم.

ومرّ بجارية صغيرة تغني، فقال: لو ترك الشّيطان أحد لترك هذه".
وسأل رجل القاسم بن محمّد عن الغناء، فقال: أنحك عنه وأكرهه لك؛ قال: أحرام هو؟ قال: أنظر يا ابن أخي إذا ميّز الله الحقّ من الباطل، ففي أيّهما يجعل الغناء. وعن الشّعبي قال: "لعن المعنيّ والمعنيّ له".

الإيمان قلبه، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهليّة. قال الواقدي: ثمّ لم يزل مقيماً بمكّة حتّى تويّ بها في أول خلافة معاوية في سنة 41 هجرية.
انظر ترجمته في: البداية والنهاية، للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر قالاً: نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو علي بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنى الحسين بن عبد الرحمن ثنى عبد الله بن الوهاب قال: أخبرني أبو حفص عمر بن عبيد الله الأرموي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان -جلّ وعزّز-، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أنّ حضور المعازف واستماع الأغاني واللّهج بها ينبت التفاق في القلب كما ينبت الماء العشب؛ ولعمري لتوقّي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الدّهن من الثّبوت على التفاق في قلبه.

وقال فضيل بن عياض: الغناء رقية الرّنا.

وقال الضحّاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للربّ.

وقال يزيد بن الوليد¹ يا بني أمية: إياكم والغناء، فإنه يزيد الشّهوة ويهدم المروءة، وأتته لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السّكر؛ فإن كنتم لا بدّ فاعلين، فجنبوه النّساء، فإنّ الغناء داعية الرّنا.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد، وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمّى بدمّ الهوى.

¹ هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، لُقّب الناقص لأنه نقص الناس من إعطائهم -وقيل: لقرب مدّته، وقيل غير ذلك-. ويُقال له: "المعتزليّ" و"الضّالّ". وُلد في الكعبة سنة 91 هـ. في حياة جدّه عبد الملك. وبويع له بدمشق يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 126 هـ، ونبشّه مروان بن محمد وصلبه. يُقال إنّه مات بالطّاعون ودُفن بين باب الجابية والباب الصّغير، وصلّى عليه أخوه إبراهيم.

حول ترجمته راجع: فوات الوقيّات، ج4/ص333-334؛ البداية والنهاية، ج10/ص11؛ تاريخ الخميس، ج2/ص321؛ النجوم الزّاهرة، ج1/ص126؛ تاريخ الإسلام للذهبي، ج5/ص188؛ الوزراء والكتّاب، ص69؛ تاريخ الخلفاء، ص275؛ خلاصة الدّهب المسبوك، ص45؛ الزّوجي، ص27؛ الفخري، ص122.

أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة أبو سعيد الحسن بن عبد الله السّيرافي ثني محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرّحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن عبد الملك¹ في بادية له، فسمر ليلة على ظهر سطح؛ ثمّ تفرّق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء، فجاءت به جارية له.

فبينما هي تصبّ عليه إذا استمدها بيده وأشار إليها، فإذا هي ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كلّه إلى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها، فتنحّت واستمع هو الصّوت؛ فإذا صوت رجل يغني، فأنصت له حتّى فهم ما يغني به من الشّعري؛ ثمّ دعا جارية من جواريه غيرها، فتوضّأ.

فلما أصبح أذن للنّاس إذنا عاما فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه، ولين فيه، حتّى ظنّ القوم أنّه يشتهي فافاضوا في التّليين والتّحليل والتّسهيل، فقال: هل بقي أحد يسمع منه؟ فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل أيلة حاذقان، قال: وأين منزلك من العسكر؟ فأومى إلى النّاحية التي كان الغناء منها، فقال سليمان: يبعث إليهما، فوجد الرّسول أحدهما، فأقبل به حتّى أدخله على سليمان، فقال له: ما اسمك؟ قال: سمير؛ فسأله عن الغناء كيف هو فيه؟ فقال: حاذق محكم، قال: ومتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذه الماضية، قال: وفي أيّ نواحي العسكر كنت؟ فذكر له النّاحية التي سمع منها الصّوت؛ قال: فما غنيت؟ فذكر الشّعري الذي سمعه سليمان.

¹ هو سليمان بن عبد الملك بن مروان. كان من خيار ملوك بني أمية. وُلّي الخِلافة في جمادى الآخرة سنة 96 هـ. بعد الوليد، بالعهد من أبيه. ومولده سنة 60 هـ، وتوفيّ عاشر صفر سنة 99 هـ. بمرج دابق. عُرضت عليه سلعة وهو يخطب، فنزل وهو محموم، فما جاءت الجمعة الأخرى حتّى مات، وولّي عمر بن عبد العزيز. قال عبد الغنيّ: وسمّي سليمان بن عبد الملك "مفتاح الخير" لأنّه استخلف عمر بن عبد العزيز. وعزل عمّال الحجاج، وأخرج من سجون العراق، وهمّ بالإقامة في القدس، وحجّ سنة 97 هـ. وكان يسمع من عمر بن عبد العزيز جميع ما يأمر به. حول ترجمته راجع: فوات الوقيّات، ج2/ص68 إلى ص70؛ وقيّات الأعيان، ج2/ص420؛ تاريخ الخلفاء للسنّيوطي، ص259 إلى ص261.

فأقبل سليمان، فقال: هدر الجمل، فضبعت الناقة وهب التيس، فشكرت الشاة وهدل الحمام، فزافت الحمامة؛ وغتّى الرّجل، فطربت المرأة.
ثمّ أمر به فخصى، وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون؟ قالوا: بالمدينة، وهو في المختّنين، وهم الحدّاق به والأئمّة فيه؛ فكتب إلى عامله على المدينة، وهو أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم أن أخصي من قبلك من المختّنين المغنّين.
قال المصنّف -رحمه الله-: وأما المعنى، فقد بيّنّا أنّ الغناء يخرج الإنسان عن الاعتدال ويغيّر العقل.

وبيان هذا: أنّ الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبّحه في حال صمته من غيره من تحريك رأسه وتصفيق يديه ودقّ الأرض برجله إلى غير ذلك ممّا يفعله أصحاب العقول السّخيفة والغناء يوجب ذلك، بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل، فينبغي أن يقع المنع منه.

أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهضم نا يحيى بن المؤمل ثنا أبو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز قال: ذكر عند محمّد بن منصور أصحاب القصاص، فقال: هؤلاء الفرارون من الله -عزّ وجلّ- لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه، لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التّلاقي.
أخبرنا محمّد بن ناصر نا عبد الرّحمان بن أبي الحسين بن يوسف نا محمّد بن علي العبادي قال: قال أبو عبد الله بن بطّة العكبري¹: سألتني سائل عن استماع الغناء، فنهيتة

¹ هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري (بضم العين، وفتح الباء الموحدة، وقيل: بضم الباء أيضا. والصّحيح بفتحها. كنيته: أبو عبد الله معروف ب: ابن بطّة (بفتح الباء) المذهب الفقهي: حنبلي. وُلد في عكبرا في شهر شوال سنة أربع وثلاثمائة (304 هـ). وفاته: توفي في عكبرا في عاشوراء سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (387 هـ). رحلاته: سافر الكثير إلى مكة والثغور والشام والبصرة وغيرها من البلاد. ومن شيوخه: أبو القاسم عبد الله البغوي، أبو ذر بن الباغندي، محمّد بن مخلد العطار، محمّد بن أحمد بن ثابت العكبري، جعفر القافلائي، أبو القاسم الخرقى، أبو بكر عبد العزيز، وغيرهم. ومن تلاميذه: أحمد العتيقي، أبو نعيم الأصبهاني، محمّد بن أبي الفوارس، أبو علي بن شهاب العكبري، أبو محمّد الجوهرى، وآخرون. كان إمامًا فاضلاً من أئمّة السّنة، من فقهاء الحنابلة،

عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء، واستحسنه السفهاء؛ وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفيّة، وسمّاهم المحقّقون: الجبريّة أهل همم دنيئة وشرائع بدعيّة يظهرن الزهد؛ وكلّ أسبابهم ظلمة يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرّجاء يسمعون من الأحداث والنساء ويطيرون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون، ويزعمون أنّ ذلك من شدة حبّهم لهم وشوقهم إليه - تعالى - الله عمّا يقوله الجاهلون علو كبيرًا.

فصل في ذكر الشبه التي تعلق بها من أجاز سماع الغناء

فمنها: حديث عائشة - رضي الله عنها -: أنّ الجاريتين كانتا تضربان عندها بدقيّن، وفي بعض ألفاظه: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تناولت به الأنصار يوم بعث، فقال أبو بكر: أمزور الشيطان في بيت رسول

وكان صالحًا زاهدًا مستجاب الدعوة. ومن مؤلفاته: السنن، الإبانة الكبير والإبانة الصغبر، التفرّد والعزلة، المناسك، تحريم التميمة، صلاة الجماعة، وغيرها كثير.

انظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني (ج 4 ص 221)؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (ج 3 ص 259)، والأعلام للزركلي (ج 4 ص 197)؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج 12 ص 106 ت. بشار عواد معروف)؛ وطبقات الحنابلة (ج 3 ص 272)؛ طبقات الحنابلة (ج 3 ص 257)؛ وتاريخ بغداد (ج 12 ص 101)؛ وطبقات الحنابلة (ج 3 ص 257)؛ وتاريخ بغداد (ج 12 ص 100-101)؛ سير أعلام النبلاء للذهبي (ج 16 ص 529)؛ تاريخ بغداد (ج 12 ص 106)؛ الأنساب للسمعاني (ج 1 ص 368)؛ ميزان الاعتدال (ج 3 ص 15)؛ تاريخ بغداد (ج 12 ص 102)؛ تاريخ دمشق (ج 38 ص 108)؛ طبقات الحنابلة (ج 3 ص 260)؛ طبقات الحنابلة (ج 3 ص 258)؛ العبر في خير من غير للذهبي في ترجمة ابن بطّة؛ تاريخ بغداد (ج 12 ص 104)؛ تاريخ بغداد (ج 12 ص 105)؛ سير أعلام النبلاء للذهبي (ج 16 ص 531)؛ وتاريخ الإسلام له؛ سير أعلام النبلاء (ج 16 ص 533)؛ طبقات الحنابلة (ج 3 ص 270-271)؛ أي إثبات وجود الربّ تبارك وتعالى؛ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطّة العكبري، الكتاب الثالث: الردّ على الجهميّة (مجلد 2 ص 172-173).

الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! فقال رسول الله: "دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا"؛ وقد سبق ذكر الحديث.

ومنها: حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يا عائشة، ما كان معهم من اللّهُ، فإنّ الأنصار يعجبهم اللّهُ"، وقد سبق.

ومنها: حديث فضالة بن عبيد عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّه قال: "الله أشدّ أذنًا إلى الرّجل الحسن الصّوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته".

قال ابن طاهر: وجه الحجّة أنّه أثبت تحليل استماع الغناء، إذ لا يجوز أن يقاس على محرم.

ومنها حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّه قال: "ما أذن الله -عزّ وجلّ- لشيء ما أذن لنبيّ يتغنّى بالقرآن".

ومنها: حديث حاطب¹ عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنّه قال: "فصل ما بين الحلال والحرام الضّرب بالدّف".

والجواب: أمّا حديثا عائشة -رضي الله عنها-، فقد سبق الكلام عليهما وبيننا أنّهم كانوا ينشدون الشّعْر؛ وسمّي بذلك: غناء، لنوع يثبت في الإنشاد وترجيع؛ ومثل ذلك لا يخرج الطّباع عن الاعتدال.

وكيف يحتجّ بذلك الواقع في الزّمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة في زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ما هذا إلاّ مغالطة للفهم.

¹ هو حاطب بن أبي بلتعة وأبو بلتعة اسمه عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفقة بطن من لخم، وهو حليف بني أسد بن عبد العزى. يُقال إنّّه حالف الزّبير بن العوام، وقيل: كان مولى عبید الله بن حمير فكتبه فأدّى... قال ابن عبد الحكم: حدّثنا هشام بن إسحاق وغيره قال: لما كانت سنة ست من الهجرة، ورجع رسول الله (ص) من الحديبية بعث حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية.

أَوْ لَيْسَ قَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا أَحْدَثَ النَّسَاءَ لِمَنْعِهِنَّ الْمَسَاجِدَ؛ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْمَفْتِي أَنْ يَزِنَ الْأَحْوَالَ، كَمَا يَنْبَغِي لِلطَّبِيبِ أَنْ يَزِنَ الزَّمَانَ وَالسِّنَّ وَالْبَلَدَ؛ ثُمَّ يَصِفُ عَلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ؟!

وَأَيْنَ الْغِنَاءُ بِمَا تَقَاوَلْتَ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بَعَاثَ مِنْ غِنَاءِ أَمْرَدٍ مُسْتَحْسِنٍ بِآلَاتِ مُسْتَطَابَةِ وَصْنَاعَةِ تَجَذُّبِ إِلَيْهَا النَّفْسِ وَغَزَلِيَّاتِ يَذْكَرُ فِيهِ الْغَزَالَ وَالْغَزَالَ وَالْحَالَ وَالْحَدَّ وَالْقَدَّ وَالْإِعْتِدَالَ؟! فَهَلْ يَثْبُتُ هُنَاكَ طَبِيعٌ؟!

هَيْهَاتَ! بَلْ يَنْزَعُ شَوْقًا إِلَى الْمُسْتَلَدِّ، وَلَا يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَجِدُ ذَلِكَ إِلَّا كَاذِبًا أَوْ خَارِجًا عَنِ حُدِّ الْأَدْمِيَّةِ.

وَمَنْ ادَّعَى أَخَذَ الْإِشَارَةَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْخَالِقِ، فَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي حَقِّهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ عَلَى أَنَّ الطَّبِيعَ يَسْبِقُهُ إِلَى مَا يَجِدُ مِنَ الْهَوَى.

وَقَدْ أَجَابَ أَبُو الطَّبِيبِ الطَّبْرِيُّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِجَوَابٍ آخَرَ، فَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرِيرِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ حَجَّتْنَا، لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَمَّى ذَلِكَ: مَزْمُورَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْكُرِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَوْلَهُ، وَإِنَّمَا مَنَعَهُ مِنَ التَّغْلِيظِ فِي الْإِنْكَارِ لِحَسَنِ رَفْعِهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي يَوْمِ الْعِيدِ؛ وَقَدْ كَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- صَغِيرَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَمْ يَنْقَلْ عَنْهَا بَعْدَ بُلُوغِهَا وَتَحْصِيلِهَا إِلَّا ذَمُّ الْغِنَاءِ؛ وَقَدْ كَانَ ابْنُ أُخْيَهِ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَذَمُّ الْغِنَاءَ وَيَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِهِ، وَقَدْ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْهَا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَأَمَّا اللَّهُو الْمَذْكَورُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ، فَلَيْسَ بِصَرِيحٍ فِي الْغِنَاءِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِنْشَادُ الشُّعْرِ أَوْ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا التَّشْبِيهُ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْقَيْنَةِ، فَلَا يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ الْمَشْبَهَ حَرَامًا؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ قَالَ: وَجَدْتُ لِلْعَسَلِ لَذَّةً أَكْثَرَ مِنْ لَذَّةِ الْخَمْرِ كَانَ كَلَامًا صَحِيحًا؛ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِالِإِصْغَاءِ فِي الْحَالَتَيْنِ، فَيَكُونُ أَحَدُهُمَا حَلَالًا أَوْ حَرَامًا لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّشْبِيهِ.

وقد قال -عليه الصلّاة والسّلام-: "إنّكم لترون ربّكم كما ترون القمر"؛ فشبهه أيضاً الرّؤية بإيضاح الرّؤية؛ وإن كان وقع الفرق بأنّ القمر في جهة يحيط به، نظر الناظر والحقّ منزّه عن ذلك.

والفقهاء يقولون في ماء الوضوء: لا ننشف الأعضاء منه، لأنّه أثر عبادة، فلا يسنّ مسحه كدم الشّهيد؛ فقد جمعوا بينهما من جهة اتّفاقهما في كونهما عبادة، وإن اختلفا في الطّهارة والتّجاسة.

واستدلال ابن طاهر بأنّ القياس لا يكون إلّا على مباح فقيه الصّوفيّة لا علم الفقهاء.

وأما قوله: يتغنّى بالقرآن، فقد فسّره سفيان بن عيينة، فقال: معناه يستغني به؛ وفسره الشافعي، فقال: معناه يتحرّزّ به ويترنّم؛ وقال غيرهما: يجعله مكان غناء الرّكبان إذا ساروا.

وأما الضّرب بالدفّ، فقد كان جماعة من التّابعين يكسّرون الدّفوف، وما كانت هكذا، فكيف لو رأوا هذه؟!

وكان الحسن البصري يقول: ليس الدفّ من سنّة المرسلين في شيء.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: من ذهب به إلى الصّوفيّة، فهو خطأ في التّأويل على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ وإنّما معناه عندنا إعلان النّكاح واضطراب الصّوت والذّكر في التّاس.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: ولو حمل على الدفّ حقيقة على أنّه قد قال أحمد بن حنبل: أرجو أن لا يكون بالدفّ بأس في العرس ونحوه، وأكره الطّبل.

أخبرنا عبد الله بن عليّ المقرئ نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمّد عبد الله بن عبيد الله المؤدّب ثنا الحسين بن اسماعيل الحاملي ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي إسحق عن عامر بن سعد الجبلي قال: طلبت ثابت بن سعد، وكان بدرئياً، فوجدته في عرس له؛ قال: وإذا حوار يغتنين ويضربن بالدّفوف، فقلت: ألا تنهي عن هذا؟ قال لا، إنّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رخص لنا في هذا.

أخبرنا عبد الله بن علي نا حدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أظهروا التكاح وأضربوا عليه بالغربال"، يعني الدفّ.

قال المصنّف -رحمه الله-: وكلّ ما احتجّوا به لا يجوز أن يستدلّ به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثّر في الطّباع، وقد احتجّ لهنّ أقوام مفتونون بحبّ التّصوّف بما لا حجّة فيه.

فمنهم أبو نعيم الأصفهاني، فإنّه قال: كان البراء بن مالك يميل إلى السّماع ويستلذّ بالترنّم.

قال المصنّف -رحمه الله-: وإمّا ذكر أبو نعيم هذا عن البراء، لأنّه روي عنه أنّه استلقى يوماً، فترنّم.

فانظر الى هذا الاحتجاج البارد، فإنّ الإنسان لا يخلو من أن يترنّم، فأين التّرنّم من السماع للغناء المطرب؟!!

وقد استدلّ لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشيء فمنها أنّه قال في كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه فجعل الاقتراح على القوال سنة.

واستدلّ بما روى عمرو بن الشّريد عن أبيه قال: استنشدني رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من شعر أميّة، فأخذ يقول: "هي، هي"، حتّى أنشدته مائة قافية.

وقال ابن طاهر: باب الدليل على استماع الغزل قال العجاج: سألتُ أبا هريرة -رضي الله عنه-: طاف الخيالات فهاجا سقما، فقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال المصنّف -رحمه الله-: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما اعجبه، كيف يحتاج على جواز الغناء بانشاد الشّعرا؟! وما مثله إلّا كمثل من قال: يجوز أن يضرب بالكفّ

على ظهر العود، فجاز أن يضرب بأوتاره؛ أو قال: يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه في يومه، فجاز أن يشرب منه بعد أيام؛ وقد نسي أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء.

وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه قال: أخبرنا أبو محمد التميمي قال: سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقول فيه غير أتي حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن شمعون شيخ الوعظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني¹ في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة، فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة بسنة، ومعهم أبو عبد الله غلام، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن، فقبل له: قل شيئاً، فقال وهم يسمعون:

¹ هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم. كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وسكن بغداد. سمع الحديث، واختص بأبي بكر القطيعي وغيره. وكان ثقة عارفاً بالكلام. وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره. صنف الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية. ذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية، قال: "وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق الشيخ أبي الحسن الأشعري. كان ورده في الليل عشرين ترويحة، ثم يكتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه". وتوفي القاضي أبو بكر آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث ولأربعمائة ببغداد، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرب الجوس، ثم نُقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب الحرب.

حول ترجمته راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/ص269-270؛ تاريخ بغداد، ج5/ص379؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، ج4/ص585؛ تبيين كذب المفتري، ص217؛ الوافي، ج3/ص177؛ الديباج المذهب، ص267؛ المنتظم، ج7/ص265؛ عبر الدهي، ج3/ص86؛ الشذرات، ص168.

حطت أناملها في بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زر فديتك قف لي غير محتشم فان حبك لي قد شاع في الناس
فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لي لأمشي على العينين والرأس
قال أبو علي: فبعدهما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا
إباحة.

قال المصنّف -رحمه الله-: وهذه الحكاية، إن صدق فيها محمد بن طاهر، فإنّ
شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على
أنّه أنشدها لا أنّه غتّى بها بقضيب ومخدة، إذ لو كان كذلك لذكره.
ثمّ فيها كلام مجمل قوله: لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا بإباحة، لأنّه إن كان
مقلدا لهم، فينبغي أن يفتي بالإباحة، وإن كان ينظر في الدليل، فيلزمه مع حضورهم أن
يفتي بالحظر.

ثمّ بتقدير صحتّها، أفلا يكون أتباع المذهب أوّل من اتّباع أرباب المذاهب؟!
وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد -رضوان الله عليهم أجمعين- ما
يكفي في هذا، وشيّدنا ذلك بالأدلة.

وقال ابن طاهر في كتابه باب إكرامهم للقول وإفرادهم الموضوع له، واحتجّ بأنّ
النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير¹ لما أنشده: بانث

¹ كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرّب شاعر مخضرم لانه عاش عصرين مختلفين هما عصر
الجاهلية وعصر صدر الإسلام (؟؟؟- 26 هـ = 646 م). عالي الطبقة، كان ممن اشتهر في الجاهلية
ولما ظهر الإسلام هجا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، دمه فجاهه كعب مستأمنا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها:
بانث سعاد فقلبي اليوم متبول ، فعفا عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وخلع عليه برده. وهو من
أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء.
وقد كثر محمّسو لاميته ومشطروها وترجمت إلى غير العربية. تلقن كعب الشعر عن أبيه مثله مثل أخيه
بجير، وكان زهير يحفظهم الشعر ومنه شعره ويقولون عن كعب أنه كان يخرج به أبوه إلى الصحراء
فيلقي عليه بيتاً أو شطراً ويطلب أن يجيزه تمريناً ودرّبه، كما أن كعباً كان في عصر ما قبل الإسلام

سعاد.

وإنما ذكرْتُ هذا ليعرف قدرَ فقه هذا الرَّجل واستباطه، وإلا فالزَّمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التَّخليط.

وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمَّد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمَّد الحجاجي ثنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد المقرئ ثنا أبي ثنا علي بن أحمد ثنا محمَّد بن العباس بن بلال قال: سمعتُ سعيد بن محمَّد قال: حدَّثني إبراهيم بن عبد الله، وكان النَّاس يتبرَّكون به، قال: حدَّثنا المزني قال: مررنا مع الشَّافعي وإبراهيم بن إسماعيل علي دار قوم وجارية تغنيهم:

خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم

تنكص

فقال الشَّافعي: ميلوا بنا نسمع؛ فلما فرغت قال الشَّافعي لإبراهيم: أيطربك هذا؟ قال: لا قال: فما لك حسن.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: وهذا محالٌ على الشَّافعي -رضي الله عنه-، وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به، وقد كان الشَّافعي أجلاً من هذا كلّه. ويدلُّ على صحّة ما ذكرناه: ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيّب الطَّبْرِي قال: أمّا سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم، فإنَّ أصحاب الشَّافعي قالوا: لا يجوز سواء كانت حرّة أو مملوكة.

قال: وقال الشَّافعي: وصاحب الجارية إذا جمع النَّاس لسماعها، فهو سفيه تردّ شهادته؛ ثمَّ غلّظ القول فيه، فقال: وهو دياثة.

قال المصنّف -رحمه الله-: وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً، لأنّه دعا النَّاس إلى الباطل؛ ومن دعا إلى الباطل، كان سفيهاً فاسقاً.

شاعراً معروفاً أكثر من الخطيئة . حاول زهير أن ينظم الشعر منذ حدثته فردعه أبوه، مخافة أن يتسقل ويأتي بالضعيف فيشوّه مجد الأسرة، وما زال يهدّب لسانه ويجّهز شاعريته برواية الشعر حتى استقام له النظم.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: وقد أخبرنا محمّد بن القاسم البغدادي عن أبي محمّد التميمي عن أبي عبد الرّحمان السّلمي قال: اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء، وكانت تقول لهم القصائد.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال: أدركنا مروان القاضي، وله جوار يسمعون التّلعين قد أعدّهن للصّوفيّة.

قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان، وكان إخوانه يسمعون التّلعين منهما.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: أمّا سعد الدمشقي، فرجلٌ جاهلٌ، والحكاية عن عطاء محالٌ وكذبٌ؛ وإن صحّت الحكاية عن مروان¹، فهو فاسقٌ.

والدليل على ما قلنا: ما ذكرنا عن الشّافعي -رضي الله عنه-؛ وهؤلاء القوم جهلوا العلم، فمالوا إلى الهوى.

وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصّابوني وأبو بكر البيهقي قالاً: أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النّيسابوري² قال: أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصّوفي في دار أبي بكر الابريسي للسمع من هزارة -رحمها الله-، فإنّها كانت من مستويات القولات.

¹ في النسخة الثانية أبي مروان.

² أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوري. من كبار المحدثين ومن أصحاب الصّحاح. اشتهر بكتابه (المستدرك على الصّحاحين) ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة 341 هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة 359 هـ ولي قضاء نيسابور، ولقب بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثمّ اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف، تولّى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السّامانيين، فأحسن السفارة. صنّف كتباً كثيرةً منها: تاريخ نيسابور؛ المستدرك على الصّحاحين، وهو الكتاب الذي جمع فيه مؤلّفه الأحاديث التي استدرکها على الصّحاحين ممّا فاتهما على شرطه، وهو أشهر المستدركات؛ الإكليل؛ المدخل إلى علم الصّحاح؛ تراجم الشّيوخ؛ فضائل الشّافعي. توفّي في نيسابور في 3 صفر 405 هـ الموافق 2 أغسطس 1014 م، عن أربعة وثمانين سنة.

قال المصنّف: قلتُ: وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنّه لا يحلّ له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثمّ يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور، وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله؟! لقد كفاه هذا قد حافي عدالته!

قال المصنّف -رحمه الله-: فإن قيل: ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال: كان عون بن عبد الله يقصّ، فإذا فرغ أمر جارية له تقصّ وتطرب؟

قال المغيرة: فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه إنك من أهل بيت صدق، وأنّ الله -عزّ وجلّ- لم يبعث نبيّه -صلى الله عليه وسلّم- بالحمق، وأنّ صنيعك هذا صنيع أحمق.

فالجواب: أنّا لا نظنّ بعون أنّه أمر الجارية أن تقصّ على الرّجال، بل أحبّ أن يسمعها منفردًا، وهي ملكه، فقال له مغيرة الفقيه: هذا القول وكره أن تطرب الجارية له، فما ظنّك بمن يسمعون الرّجال ويرقصهنّ ويطربهنّ.

وقد ذكر أبو طالب المكي أنّ عبد الله بن جعفر كان يسمع الغناء.

قال المصنّف -رحمه الله-: وإمّا كان يسمع إنشاد جواريه، وقد أردف ابن طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي، وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن أحمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرّحمان السّلمي قال: حدّثنا الحسين بن أحمد قال: سمعتُ أبا العباس الفرغاني يقول: سمعتُ صالح بن أحمد بن حنبل يقول كنتُ أحبّ السّماع، وكان أبي أحمد يكره ذلك، فوعدتُ ليلة ابن الخبازة فمكثت عندي إلى أن علمتُ أنّ أبي قد نام، وأخذ يغني، فسمعتُ حسنّ أبي فوق السّطح، فصعدتُ، فرأيتُ أبي فوق السّطح يسمع وذيله تحت إبطه يتخطر على السّطح كأنّه يرقص.

قال المصنّف -رحمه الله-: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق؛ ففي بعض الطّرق عن صالح قال: كنتُ أدعو ابن الخبازة القصائدي، وكان يقول ويلحن، وكان أبي في

الرّزاق يذهب ويجيء ويسمع إليه، وكان بيننا وبينه باب، وكان يقف من وراء الباب يستمع.

وقد أخبرنا بما أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أحمد بن علي بن الحسين التّوري ثنا يوسف بن عمر القواس قال: سمعتُ أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي -أظنه عن عبد الله بن أحمد- قال: كنتُ أدعو ابن الخبازة القصائدي، وكان يقول ويلحن، وكان أبي ينهاني عن التّعني، فكنْتُ إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلاَّ يسمع، فكان ذات ليلة عندي، وكان يغني¹، فعرضت لأبي عندنا حاجة، وكنا في رزاق، فجاء فسمعه يغني فتسمع، فوقع في سمعه شيء من قوله، فخرجتُ لأنظر، فإذا بأبي ذاهبًا وجائئًا، فرددتُ الباب، فدخلتُ؛ فلمّا كان من الغد، قال لي: يا بني إذا كان هذا نعم الكلام أو معناه.

قال المصنّف -رحمه الله-: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الرّهديات التي فيها ذكر الآخرة، ولذلك استمع إليه أحمد.

وقول من قال: ينزعج، فإنّ الإنسان قد يزعجه الطّرب، فيميل يمينًا وشمالًا. وأما رواية ابن طاهر التي فيها، فرأيتُه وذيله تحت أبطه يتبختر على السّطح كأنه يرقص، فإنّما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنّونه المعنى² تصحيحًا لمذهبهم في الرّقص. وقد ذكرنا القدح في السّلمي وفي ابن طاهر الرّوايين لهذه اللفظات، وقد احتجّ لهم أبو طالب المكي على جواز السّماع بمنامات وقسم السّماع إلى أنواع، وهو تقسيم صوفي لا أصل له.

وقد ذكرنا أنّ من ادّعى أنّه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النّفس إلى الهوى، فهو كاذبٌ.

وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي طالب الطبري قال: قال بعضهم: إنّنا لا نسمع الغناء بالطّبع الذي يشترك فيه الخاصّ والعامّ، قال: وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين:

¹ في النسخة الثانية وكان يقول أي ينشد بدل قوله ويغني في المكانين.

² كذا في النسختين وفي العبارة نقص أو تصحيف بالمعنى اه.

- أحدهما: أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطَّبِير وسائر الملاهي، لأنه يسمعه بالطَّبع الذي لا يشاركه فيه أحدٌ من النَّاس؛ فإن لم يستبيح ذلك، فقد نقض قوله؛ وإن استباح، فقد فسق.

- والثَّاني: أنَّ هذا المدَّعي لا يخلو من أن يدَّعي أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة.

فإن قال هذا، فقد تخرص على طبعه، وعلم كلَّ عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه، ووجب أن لا يكون مجاهدًا لنفسه ولا مخالفاً لهواه، ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشَّهوات؛ وهذا لا يقوله عاقل.

وإن قال: أنا على طبع البشر المجهول على الهوى والشَّهوة، قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك أو تطرب لسماعه لغير ما غرس في نفسك؟!

أخبرنا ابن ناصرنا أحمد بن علي بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السَّلمي قال: سمعتُ أبا القاسم الدمشقي يقول: سئل أبو عليِّ الرُّودباري عمَّن سمع الملاهي ويقول: هي لي حلال، لأني قد وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال، فقال: نعم قد وصل لعمرى، ولكن إلى سقر.

قال المصنّف -رحمه الله-: فإن قيل: قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا عن المنشد شيئاً، فأخذوه على مقصودهم، فانتفعوا به؛ قلنا: لا ينكر أن يسمع الإنسان بيتاً من الشَّعر أو حكمة، فيأخذها إشارة، فترعجه بمعناها، لا لأنَّ الصَّوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول:

كلَّ يوم تتلَوْنَ غير هذا بك أجمل

فصاح ومات.

فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التَّلحين، وإمَّا قتله المعنى. ثمَّ ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالأستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضَّرْب بالقضيب والتَّصفيق إلى غير ذلك. ثمَّ إنَّ ذلك السَّامع لم يقصد السَّماع. ولو سألنا: هل يجوز لي أن أقصد سماع ذلك؟ منعناه.

قال المصنّف -رحمه الله-: وقد احتجّ لهم أبو حامد الطّوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنّه قال: ما يدلّ على تحريم السّماع نصّ ولا قياس. وجواب هذا: ما قد أسلفناه.

وقال لا وجه لتحريم سماع صوت طيب، فإذا كان موزوناً، فلا يجرم أيضاً؛ وإذا لم يجرم الآحاد، فلا يجرم المجموع؛ فإنّ أفراد المباحات إذا اجتمعت، كان المجموع مباحاً. قال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك، فإن كان فيه شيء محظور، حرم نثره ونظمه، وحرم التّصويت به.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وإني لأتعبّج من مثل هذا الكلام، فإنّ الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب، لم يجرم ولم يطرب؛ فإذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج؛ وكذلك ماء العنب جائز شربه، وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال، فيمنع منه ذلك. وقال ابن عقيل: الأصوات على ثلاثة أضرب: محرّم، ومكروه، ومباح. فالمحرّم: الزّمر، والتّاي، والسرنا، والطّنبور، والمعزفة، والزّباب، وما مثلها. نصّ الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك، ويلحق به الجرافة¹، والحنك، لأنّ هذه تطرب، فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل في طباع الغالب من النّاس ما يفعله المسكر، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور، لأنّ النّبّي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن صوتين أحمرين: صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة. والمكروه: القضيبي، لكنّه ليس بمطرب في نفسه؛ وإنّما يطرب بما يتبعه، وهو تابع للقول والقول مكروه.

ومن أصحابنا من يجرّم القضيبي، كما يجرّم آلات اللّهُو، فيكون فيه وجهان، كالقول² نفسه، والمباح الدفّ.

¹ في الثانية: الحراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهي وفي نسخة الجرانة.

² وفي نسخة كالعود.

وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال: أرجو أن لا يكون بالدفّ بأس في العرس ونحوه،
وأكره الطبل.

وقد قال أبو حامد: من أحبّ الله وعشقه واشتاق إلى لقائه، فالسمع في حقه
مؤكّد لعشقه.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وهذا قبيح أن يقال عن الله -عزّ وجلّ-
يعشق، وقد بيّنا فيما تقدّم خطأ هذا القول.
ثمّ أيّ توكيد لعشقه في قول المغنّي:

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النّار تقتدح

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وسمع ابن عقيل بعض الصّوفيّة يقول إنّ مشائخ
هذه الطّائفة كلّما وقفت طباعهم حذاها الحادي إلى الله بالأناشيد، فقال ابن عقيل: لا
كرامة لهذا القائل إنّما تحدّى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول -صلى الله
عليه وسلّم-، لأنّ الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَإِذَا تَلَيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾¹،
وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت.

فأما تحريك الطّباع بالألحان، فقاطع عن الله والشّعر يتضمّن صفة المخلوق
والمعشوق ممّا يتعدّد عنه فتنه؛ ومن سوّلت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن
الصّوت، فمفتون؛ بل ينبغي النّظر إلى المحال التي أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو
ذلك، فإنّها منظورات لا تهيج طبعا، بل تورث استعظاما للفاعل.

وإنّما خدعكم الشّيطان، فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا، حتّى قاتم: هذه
الحقيقة وأنتم زنادقة في زيّ عباد شريين في زيّ زهاد مشبهة تعتقدون أنّ الله -عزّ وجلّ-
يعشق ويهام فيه ويؤلف ويؤنس به؛ وبئس التّوهّم! لأنّ الله -عزّ وجلّ- خلق الدّوات
مشاكلة، لأنّ أصولها مشاكلة، فهي تتوانس وتتألّم بأصولها العنصريّة وتراكيبها المثليّة في
الأشكال الحديثة.

¹ سورة، الآية .

فمن ههنا جاء التلاؤم والميل وعشق بعضهم بعضا وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكد الأنس والواحد منا يأنس بالماء، لأنّ فيه ماء، وهو بالتبّات أنس لقربه من الحيوانية بالقوة التماثلية وهو بالحيوان أنس لمشاركته في أخصّ النوع به أو أقربه إليه؛ فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق؟! وما الذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة؟!!

وإنّما هؤلاء يصوّرون الباري - سبحانه وتعالى - صورة تثبت في القلوب، وما ذاك الله - عزّ وجلّ - ذاك صنم شكله الطبع والشيطان، وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتااق إليه الأنفس، وإنّما مباينة الإلهية للمحدث أوجب في الأنفس هيبة وحشمة، فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله إنّما هو وهم اعترض وصورة شكّلت في نفوس، فحجبت عن عبادة القديم، فتحدّد بتلك الصورة أنس؛ فإذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل، أفلتهم الشوق إليها، فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشق.

فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب؟ كما يجب كسر الأصنام!

فصل

قال المصنّف - رحمه الله -: وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدئ السماع لعلمهم بما يثير من قلبه.

أخبرنا عمر بن ظفر المقرئ نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا بن جهضم ثنا أبو عبد الله المقرئ ثنا عبد الله بن صالح قال: قال لي جنيد: إذا رأيت المرید يسمع السماع، فاعلم أنّ فيه بقايا من اللّعب.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه
قال: سمعتُ أحمد بن محمد البردعي يقول: سمعتُ أبا الحسين التّوري يقول لبعض
أصحابه: إذا رأيتَ المرید يسمع القصائد ويميل إلى الرّفاهيّة، فلا ترج خيره.
قال المصنّف - رحمه الله -: هذا قول مشائخ القوم، وإنّما ترخص المتأخرون حبّ
اللّهُو، فتعدّى شرّهم من وجهين:

- أحدهما: سوء ظنّ العوامّ بقدمائهم، لأنّهم يظنون أنّ الكلّ كانوا هكذا.
- والثّاني: أنّهم جرّأوا العوامّ على اللّعب، فليس للعامّي حجّة في لعبه إلاّ أن يقول: فلان
يفعل كذا ويفعل كذا.

فصل

قال المصنّف - رحمه الله -: وقد نشب السّماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على
قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلاّ لتمكّن هوى باطن
تمكّن منه وغلبه طبع، وهم يظنون غير هذا.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأنبأنا عبد
المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي وقال: سمعتُ أبا حاتم محمّد بن أحمد بن يحيى السّجستاني
قال: سمعتُ أبا نصر السّراج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج قال:
قصدتُ يوسف بن الحسين الرّازي من بغداد. فلما دخلت الرّيّ، سألت عن منزله، وكلّ
مَن أساله عنه يقول: إيش تفعل بذلك الرّنديق؟! فضيّقوا صدري حتّى عزمْتُ على
الإنصراف، فبئتُ تلك اللّيلة في مسجد؛ ثمّ قلتُ: جئتُ إلى هذه البلدة، فلا أقلّ من
زيارته، فلم أزل أسأل عنه حتّى دفعتُ إلى مسجده، وهو قاعد في المحراب بين يديه رجل
على يديه مصحف، وهو يقرأ، فدنوتُ فسلمتُ، فردّ السّلام وقال: من أين؟ قلتُ: من
بغداد، قصدتُ زيارة الشّيخ، فقال: تحسن أن تقول شيئاً؟ فقلتُ: نعم، وقلتُ:
رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وثوبه، حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال لي: يا بني تلوم أهل الريّ على قولهم: يوسف بن الحسين زنديق، ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت.

وأبنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبي قال: سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: فأخرجت إلى مرو في حياة الاستاذ أبي سهيل الصعلوكي¹، وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات، فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرعاني في ذلك الوقت مجلس القوال، يعني: المغني، فتدخلني من ذلك شيء، فكنثُ أقول: قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال، فقال لي يوماً:

¹ هو أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي العجلي، المعروف بالصعلوكي، الأصبهاني أصلاً ومولداً، النيسابوري داراً، الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الأديب التحوي الشاعر العروضي الكاتب. ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخه، فقال: "صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وتبحر في العلوم، ثم خرج إلى العراق ودخل البصرة ودرس بها سنين، إلى أن استدعي إلى أصفهان فأقام بها سنين؛ فلما نعي إليه عمه أبو الطيب خرج مُستخفياً فورد نيسابور سنة 337 هـ، وجلس لمأتم عمه ثلاث أيام، وكان الشيخ أبو بكر ابن إسحاق يحضر كل يوم فيعقد معه، وكذلك كل رئيس وقاض ومفت من الفريقين؛ فلما فرغ من العزاء عقدوا له مجلس النظر، ولم يبق موافق ولا مخالف إلا أقر بفضله وتقدمه؛ وحضره المشايخ مرة بعد أخرى يسألونه أن ينقل من خلفهم وراءه بأصفهان، فأجاب إلى ذلك، ودرّس وأفتى، وعنه أخذ فقهاء نيسابور. وكانت ولادته سنة 296 هـ؛ وسمع الحديث سنة 305 هـ؛ وحضر مجلس أبي عليّ الثقفني للتفقه سنة 313 هـ. وتوفي في آخر سنة 369 هـ. بنيسابور، ودفن في المسجد الذي كان يدرّس فيه.

حول ترجمته راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4/ص204-205؛ طبقات الشيرازي، ص115؛ الواقي، ج3/ص124؛ نديمة الدهر للثعالبي، ج4/ص419؛ طبقات السبكي، ج2/ص161؛ الشذرات، ج3/ص69؛ طبقات الحسيني، ص29؛ طبقات العبادي، ص99؛ عبر الدّهي، ج2/ص352.

أَيَّ شَيْءٍ تَقُولُ النَّاسُ؟ فَقُلْتُ: يَقُولُونَ رَفَعَ مَجْلِسُ الْقُرْآنِ وَوَضَعَ مَجْلِسُ الْقَوْلِ، فَقَالَ: مِنْ قَالَ لِأَسْتَاذِهِ: لَمْ، لَمْ يَفْلَحْ.

قَالَ الْمَصْنَفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: هَذِهِ دَعَاةُ الصُّوفِيَّةِ يَقُولُونَ: الشَّيْخُ يَسَلِّمُ لَهُ حَالَهُ، وَمَا لَنَا أَحَدٌ يَسَلِّمُ إِلَيْهِ حَالَهُ؛ فَإِنَّ الْآدَمِيَّ يَرِدُ عَنْ مَرَادَاتِهِ بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَالْبَهَائِمُ بِالسُّوْطِ.

فصل

وَقَدْ اعْتَقَدَ قَوْمٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَنَّ هَذَا الْغِنَاءَ الَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ قَوْمِ تَحْرِيمِهِ وَعَنْ آخَرِ كِرَاهَتِهِ مُسْتَحَبٌّ فِي حَقِّ قَوْمٍ.

وَأَنْبَأَنَا عَبْدُ الْمَنَعَمِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هُوَازِنِ الْقَشِيرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَاقِ يَقُولُ: السَّمَاعُ حَرَامٌ عَلَى الْعَوَامِّ لِبَقَاءِ نَفْسِهِمْ مَبَاحِ الزَّهَادِ لِحُصُولِ مَجَاهِدَاتِهِمْ مُسْتَحَبٌّ لِأَصْحَابِنَا لِحَيَاةِ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ الْمَصْنَفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: قَلْتُ: وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

- أَحَدُهَا: أَنَا قَدْ ذَكَرْنَا عَنْ أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ يَبَاحُ سَمَاعَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَبُو حَامِدٍ كَانَ أَعْرَفَ مِنْ هَذَا الْقَائِلِ.

- وَالثَّانِي: أَنَّ طِبَاعَ النَّفْسِ لَا تَتَغَيَّرُ وَإِنَّمَا الْمَجَاهِدَةُ تَكْفَى عَمَلَهَا؛ فَمَنْ ادَّعَى تَغْيِيرَ الطَّبَاعِ ادَّعَى الْحَالِ. فَإِذَا جَاءَ مَا يَحْرِكُ الطَّبَاعَ وَانْدَفَعَ الَّذِي كَانَ يَكْفِيهَا عَنْهُ، عَادَتِ الْعَادَةُ.

- وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي تَحْرِيمِهِ وَإِبَاحَتِهِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ نَظَرَ فِي السَّمَاعِ، لَعَلَّهُمْ أَنَّ الطَّبَاعَ تَتَسَاوَى؛ فَمَنْ ادَّعَى خُرُوجَ طَبَعِهِ عَنِ الطَّبَاعِ الْآدَمِيِّينَ، ادَّعَى الْحَالِ.

- وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْإِجْمَاعَ انْعَقَدَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَحَبٍّ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ الْإِبَاحَةُ، فَادَّعَاءُ الْإِسْتِحْبَابِ خُرُوجٌ عَنِ الْإِجْمَاعِ.

- وَالخَامِسُ: أَنَّهُ يَلِزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ سَمَاعُ الْعُودِ مَبَاحًا أَوْ مُسْتَحَبًّا عِنْدَ مَنْ لَا يَغْيِرُ طَبَعَهُ، لِأَنَّهُ إِتْمَا حَرَّمَ، لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي الطَّبَاعِ وَيَدْعُوهَا إِلَى الْهَوَى؛ فَإِذَا أَمِنَ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبَاحَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ.

فصل

قال المصنّف - رحمه الله -: وقد ادّعى قوم منهم أن هذا السماع قرية إلى الله - عزّ وجلّ - قال أبو طالب المكيّ حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد أنّه قال: تنزل الرّحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن:

- عند الأكل، لأنّهم لا يأكلون إلّا عن فاقة؛

- وعند المذاكرة، لأنّهم يتجاوزون في مقامات الصّدّيقين وأحوال النّبّيين؛

- وعند السّماع، لأنّهم يسمعون بوجد ويشهدون حقًا.

قال المصنّف - رحمه الله - قلتُ: وهذا إن صحّ عن الجنيد وأحسننا به الظنّ، كان محمولاً على ما يسمعون من القصائد الزّهديّة، فإنّها توجب الرّقة والبكاء.

فأمّا أن تنزل الرّحمة عند وصف سعدى وليلى، ويحمل ذلك على صفات الباري - سبحانه وتعالى -، فلا يجوز اعتقاد هذا، ولو صحّ أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطّباع.

ويدلّ على ما حملنا الأمر عليه: أنّه لم يكن يُنشد في زمان الجنيد مثل ما يُنشد اليوم، إلّا أن بعض المتأخّرين قد حمل كلام الجنيد على كلّ ما يُقال.

فحدثني أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السبّاك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال: كان أبو الوفا الفيروزيّادي شيخ رباط الزوزنيّ صديقاً لي، فكان يقول لي: والله إيّي لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول.

قال: فكان الشّيخ عبد الوهاب يتعجّب ويقول: أترون هذا يعتقد أنّ ذلك وقت إجابة؟! إن هذا لعظيم!

وقال ابن عقيل: قد سمعنا منهم أنّ الدّعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجابّ، وذلك أنّهم يعتقدون أنّه قرية يتقرّب بها إلى الله - تعالى -.

قال: وهذا كفرٌ، لأنّ من اعتقد الحرام أو المكروه قرية، كان بهذا الاعتقاد كافراً.

قال: والناس بين تحريمه وكرهيته.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني علي بن أيوب قال: أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال: حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا الحسين بن فهم قال: حدثني أبو همام قال: حدثني إبراهيم بن أعين قال: قال صالح المري: أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قرية، وأثبت الناس قدمًا يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-.
أبنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال: حدثنا أبي قال: سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعتُ محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعتُ أبا بكر التهاوندي يقول: سمعتُ عليًا السائح يقول: سمعتُ أبا الحارث الأولاسي يقول: رأيتُ إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس، وأنا على سطح، وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة، وعليهم ثياب لطاف، فقال لطافة منهم: قولوا وغنوا، فاستغرقي طيبة حتى هممتُ أن أطرح نفسي من السطح؛ ثم قال: أرقصوا، فرقصوا أطيب ما يكون؛ ثم قال لي: يا أبا الحارث، ما أصبت منكم شيئًا أدخل به عليكم إلا هذا.

ذكر تلييس إبليس على الصّوفيّة في الوجد

قال المصنّف -رحمه الله-: هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وشفقت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ.

وقد احتجّوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمّد بن عبد الباقي قال: أنبأنا أبو عليّ الحسن بن محمّد بن الفضل الكرماني قال: أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال: أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي قال: وقد قيل له إنّه لما نزلت: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹، صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه، ثم خرج هاربًا ثلاثة أيّام.

واحتجّوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال: أخبرنا أبو بكر محمّد بن علي الخياط قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن يوسف بن دوست قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: حدّثنا أبو بكر عبد الله بن محمّد القرشي قال: وأخبرنا عليّ بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله ينظر إلى حديدة في النّار، فنظر الرّبيع إليها، فمال ليستقط؛ ثمّ أنّ عبد الله مضى حتّى أتينا على أتون على شاطئ الفرات؛ فلمّا رآه عبد الله والنّار تلتهب في جوفه، قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾² إلى قوله: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾³؛ فصعق الرّبيع، واحتملناه إلى أهله وربطه عبد الله حتّى يصلّي الظّهر، فلم يفق؛ ثمّ ربطه إلى العصر، فلم يفق؛ ثمّ ربطه إلى المغرب، فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله.

¹ سورة الحجر (15)، الآية 43.

² سورة الفرقان (25)، الآية 12.

³ سورة الفرقان (25)، الآية 14.

قالوا: وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا إذا سمعوا القرآن، فمنهم من يموت، ومنهم من يُصعق ويغشى عليه، ومنهم من يصيح؛ وهذا كثير في كتب الزهد والجواب.

أما ما ذكره عن سلمان، فمحالٌ وكذبٌ، ثم ليس له إسنادٌ؛ والآية نزلت بمكة، وسلمان إنما أسلم بالمدينة، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً. وأما حكاية الربيع بن خثيم، فإنّ راويها عيسى بن سليم وفيه معمر. أنبأنا عبد الوهّاب بن المبارك الحافظ قال: أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشّامي قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال: أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي قال: قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه.

قال العقيلي: وحدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثني بن آدم قال: سمعتُ حمزة الزيات قال لسفيان: إنهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق، قال: ومن يروي هذا؟! إنما كان يرويه ذاك القاصّ، يعني: عيسى بن سليم، فلقيته، فقلتُ: عمّن تروي أنت ذا منكراً عليه؟

قال المصنّف -رحمه الله-: قلتُ: فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا، لأنّ الرجل كان على السمت الأول، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين.

ثمّ نقول على تقدير الصحة: إنّ الإنسان قد يخشى عليه من الخوف، فيسكنه الخوف ويسكنه، فيبقى كالميت.

وعلاوة الصادق: أنه لو كان على حائط لوقع، لأنه غائب.

فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزلّ قدمه، ثمّ يتعدى إلى تحريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع، فإننا نعلم قطعاً أنّ الشيطان يلعب به.

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن عليّ بن ثابت قال: أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال: أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال: سمعتُ أحمد بن محمد

بن زكريا يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صبيحة، فصاح يوماً صبيحة تشوّش من حوله من الخلق، وكان بجنب حلقتة حلقة أبي عمران الأشيب، فحرد أبو عمران وأهل حلقتة.

قال المصنّف -رحمه الله-: واعلم -وقفك الله- أنّ قلوب الصّحابة كانت أصفى القلوب، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والحشوع، فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه، فبالغ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الإنكار عليه، فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال: أنبأنا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال: حدّثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال: حدّثنا عبد المتعال بن طالب قال: حدّثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال: وعظ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوماً، فإذا رجل قد صعق، فقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ ذا الْمَلْبَسِ عَلَيْنَا دِينَنَا؟! إِنْ كَانَ صَادِقًا، فَقَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ؛ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا، فَمَحَقَهُ اللهُ".

قال ابن شاهين: وحدّثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال: حدّثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال: حدّثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك قال: ذكر عنده هؤلاء الذين يُصْعَقُونَ عند القراءة، فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم حتّى سمعنا للقوم حيناً حين أخذتم الموعظة وما سقط منهم أحد.

قال المصنّف -رحمه الله-: وهذا حديث العياض بن سارية: وعظنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- موعظة ذرفت منها العيون ووجلّت منها القلوب.

قال أبو بكر الآجري: ولم يقل: صرخنا ولا ضربنا صدورنا، كما يفعل كثير من الجهّال الذين يتلاعب بهم الشيطان.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال: أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار بن إبراهيم قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال:

أخبرنا إبراهيم بن عبد الله البصري قال: حدّثنا أبو عمر حفص بن عبد الله الضرير قال: أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال: حدّثنا حصين بن عبد الرحمن قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وآله عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم -عزّ وجلّ- تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم، فقلت لهما: إنّ ههنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن عليّ التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال: سألت أسماء بنت أبي بكر: هل كان أحد من السلف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يُيكون.

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالاً: أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريح بن يونس ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن أبي حازم قال: مرّ ابن عمر -رضي الله عنه- برجل ساقط من العراق، فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا، قال: إنّنا لنخشى الله -عزّ وجلّ- وما نسقط.

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي نا أبو الحسين بن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصقار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينه عن عبد الله بن أبي بردة عن ابن عباس أنّه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن، فقال: إنّهم ليسوا بأشدّ اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم مضلّون.

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا إبراهيم بن فهد عن إبراهيم بن الحجاج الشامي ثنا شبيب بن مهران عن قتادة قال: قيل لأنس بن مالك: إنّ ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يُصعقون، فقال: ذاك فعل الخوارج.

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر بن علي بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: بلغ عبد الله بن الزبير¹ أنّ ابنه عامراً صحب قومًا يتصعقون عند قراءة القرآن، فقال له: يا عامر لأعرفنّ ما صحبت الذين يُصعقون عند القرآن لأوسعك جلدًا.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنا عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال: ثني أبي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئتُ إلى أبي، فقال لي: أين كنت؟ فقلتُ: وجدتُ أقوامًا ما رأيتُ خيرا منهم يذكرون الله -عزّ وجلّ-، فيرعد أحدهم حتى يُخشى عليه من خشية الله -عزّ وجلّ-، فقعدت معهم، قال: لا تقعد معهم بعدها، فرآني كأني لم يأخذ ذلك فيّ، فقال: رأيتُ رسول الله -صلى

¹ هو أبو حبيب عبد الله بن الزبير بن العوامّ بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. وهو أول مولود وُلد بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة. ببيع له بمكة سنة 64 هـ. بعد أن أقام الناس بغير خليفة جماديين وأيام من رجب، وبايعه أهل العراق، وولّى أخاه مصعبًا البصرة، وولّى عبد الله بن مطيع الكوفة. فوثب المختار بن أبي عبيد على الكوفة فأخذها، ووجه شيطًا إلى البصرة فقتله مصعب، وسار مصعب إلى المختار، فقتله في سنة 67 هـ. وبنى ابن الزبير الكعبة وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين مع الأرض يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر، وخلّق داخل الكعبة وخارجها، فكان أول من خلّقها وكساها القباطي. وولّى أخاه عبيدة بن الزبير المدينة، وأخرج مروان بن الحكم وبنه منها، فصار إلى الشام. ثم بعد ذلك بعث عبد الملك الحجاج إلى عبد الله بن الزبير، فحاصر الحجاج ابن الزبير ثمانية أشهر، ففتّق عاتمة من كان معه وخرجوا إلى الحجاج في الأمان حتى بلغ عدد المستأمنة عشرة آلاف، وكان في جملتهم ابنا عبد الله بن الزبير، أخذًا أمانًا لنفسيهما. وكان قتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 73 هـ، وكان سنّه 72 سنة. وكان سلطانه بالحجاز والعراق تسع سنين وأثنين وعشرين يومًا.

حول ترجمته راجع: وقيات الأعيان، ج3/ص71 إلى ص75؛ فوات الوقيات، ج2/ص171 إلى ص175؛ أنساب الأشراف، ج4 و5؛ العقد الثمين، ج5/ص141؛ غاية النهاية، ج1/ص419.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتْلُو الْقُرْآنَ وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَتْلَوَانِ الْقُرْآنَ وَلَا يَصِيبُهُمْ هَذَا، أَفْتَرَاهُمْ
أَخْشَعُ اللَّهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟! فَرَأَيْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَرَكْتَهُمْ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ نَا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ نَا أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ نَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ
فِي كِتَابِهِ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ ثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ التَّمِيمِيُّ ثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ثَنَا عَمْرُو بْنُ
مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ أَبِي الْجَوْزَاءِ يَجِدُنَا إِذَا خَرَّ رَجُلٌ، فَاضْطَرَبَ، فَوَثَبَ أَبُو الْجَوْزَاءِ
يَسْعَى قَبْلَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْجَوْزَاءِ إِنَّهُ رَجُلٌ بِهِ الْمَوْتَةُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ أَرَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْقَقَازِينِ؛ وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ، لَأَمَرْتُ بِهِ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، إِنَّمَا ذَكَرَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- فَقَالَ:
﴿أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾¹ أَوْ قَالَ: ﴿تَقْشَعُرُّ مِنْهُ جُلُودٌ﴾².

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيِّ الْمُقَرِّي نَا أَحْمَدُ بْنُ بِنْدَارٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ نَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ
بَكِيرِ النَّجَّارِ نَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ ثَنَا أَبُو عَمْرِو
حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الضَّرِيرِ نَا حَمَادُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ الْبَكْرِيِّ قَالَ: قَرَأَ قَارِئٌ عِنْدَ أَبِي
الْجَوْزَاءِ قَالَ: فَصَاحَ رَجُلٌ مِنْ أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ -أَوْ قَالَ: مِنَ الْقَوْمِ-، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو الْجَوْزَاءِ،
فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْجَوْزَاءِ إِنَّهُ رَجُلٌ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ طَيِّبٌ أَنَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّقَّارِينَ، فَلَوْ كَانَ
مِنْهُمْ، لَوَضَعْتَ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو: أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ
هَهُنَا رَجُلًا إِذَا قَرَأَ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقُرْآنَ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: يَقْعُدُ أَحَدَهُمْ
عَلَى جِدَارٍ، ثُمَّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ³ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ؛ فَإِنْ وَقَعَ، فَهُوَ صَادِقٌ.

قَالَ أَبُو عَمْرِو: وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ يَذْهَبُ إِلَى أَنْ تَصْنَعَ وَليْسَ بِحَقِّ مَنْ قَلْبُهُمْ.
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ ثَنَا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ نَا أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
حَبَانَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ثَنَا زِيَادٌ عَنِ يَحْيَى عَنِ عَمْرَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ
بْنَ سِيرِينَ.

¹ سورة المائدة (5)، الآية 83.

² سورة الزمر (39)، الآية 23.

³ في الثانية: المصحف بدل القرآن.

وسئل عن من يستمع القرآن فيصنع، فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره؛ فإن سقطوا، فهم كما يقولون.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا محمد بن علي عن ابراهيم بن الأشعث قال: سمعتُ أبا عصام الرَّمَل عن رجل عن الحسن أنه وعظ يوماً، فتنفّس رجلٌ في مجلسه، فقال الحسن: إن كان لله -تعالى- شهرت نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت.

أخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا روح ثنا السري بن يحيى ثنا عبد الكريم بن رشيد قال: كنتُ في حلقة الحسن، فجعل رجلٌ يبكي وارتفع صوته، فقال الحسن: إنّ الشيطان ليبكي هذا الآن.

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني نا أبو العلاء الواسطي نا محمد بن الحسين الأزدي ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا إسحق بن ابراهيم البغدادي قال: سمعتُ أبا صفوان يقول: قال الفضيل بن عياض لابنه، وقد سقط يا بني، إن كنت صادقاً، لقد فضحت نفسك؛ وإن كنت كاذباً، فقد أهلكك نفسك.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن أحمد النجّار ثنا المرتعش قال: رأيتُ أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ، وقد تواجد إنسان بين يديه، فقال له: يا بني، إن كنت صادقاً، فقد أظهرت كلّ مالك؛ وإن كنت كاذباً، فقد أشركت بالله.

فصل

قال المصنّف -رحمه الله-: فإن قال قائلٌ إنّما يفرض الكلام في الصادقين لا في أهل الرّياء، فما تقول فيمن أدركه الوجد، ولم يقدر على دفعه؟

فالجواب: إنّ أول الوجد: انزعاج في الباطن؛ فإن كَفَّ الإنسان نفسه، كيلا يُطَّلَع على حاله، يئس الشَّيْطَان منه، فبعد عنه؛ كما كان أيّوب السخيتياني إذا تحدث فرق قلبه، مسح أنفه، وقال: ما أشدَّ الرُّكَام.

وإن أهمل الإنسان، ولم يبال بظهور وجده أو أحبَّ اطلاع النَّاس على نفسه، نفخ فيه الشَّيْطَان، فانزعج على قدر نفخه، كما أخبرنا هبة الله بن محمَّد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن ابن أخي زينب عن امرأة عبد الله قالت: جاء عبد الله ذات يوم وعندني عجزوز ترقيني من الحموة، فأدخلتها تحت السرير.

قالت: فدخل، فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيط رقي لي فيه رقية، فأخذه وقطعه؛ ثم قال: إنّ آل عبد الله لأغنياء عن الشُّرك، سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: إنّ في الرقي والتَّمَائم والتَّولة شركاً. قالت: فقلتُ له: لم تقول هذا؟ وقد كانت عيني تُقْدَف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقبها، فكان إذا رقاها سكنت، قال: إنّما ذاك من عمل الشَّيْطَان، كان يُنْحَسها بيده، فإذا رقيتها كفَّ عنها؛ إنّما كان يكفيك أن تولّي، كما قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أذهب البأس ربَّ النَّاس! إشف أنت الشَّافي لا شفاء إلاَّ شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً".

قال المصنّف -رحمه الله-: التَّولة ضرب من السَّحر يجبُّ المرأة إلى زوجها. أخبرنا محمَّد بن عبد الباقي بن أحمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمَّد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبي داود ثنا هارون بن زيد عن أبي الزرقاء ثنا أبي قال: ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب بن أبي السَّي عن أبي عيسى أو عيسى قال: ذهبْتُ إلى عبد الله بن عمر، فقال أبو السَّوار: يا أبا عبد الرَّحمن إنّ قومًا عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله، قال: كذبت، قال: بلى وربَّ هذه البنية، قال: ومُحْك! إن كنت صادقاً، فإنَّ الشَّيْطَان ليدخل جوف أحدهم. والله ما هكذا كان أصحاب محمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-!

فصل

فإن قال قائل: فنفرض أنّ الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد، فلم يُقدر عليه وغلبه الأمر، فمن أين يدخل الشيطان؟ فالجواب إنّنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدّفع إلاّ أنّ علامة الصادق أنّه لا يُقدر على أن يدفع ولا يدري ما يجري عليه، فهو من جنس قوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾¹.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله ثنا ابراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثّقفي ثني حاتم بن الليث الجوهري ثنا خالد بن خدّاش قال: قرئ على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة، فخرّ مغشياً عليه، فلم يتكلم بكلمة حتّى مات بعد ذلك بأيّام.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وقد مات خلقٌ كثير من سماع المؤعظة، وغشي عليهم.

قلنا: هذا التّواجد الذي يتضمّن حركات المتواجدين، وقوّة صياحهم، وتخبّطهم، فظاهره أنّه متعمّل والشيطان معيّن عليه.

قال المصنّف -رحمه الله-: فإن قيل: فهل في حقّ المحلص نقص بهذه الحالة الطّارئة عليه؟

قيل: نعم، من جهتين:

- أحدهما: أنّه لو قوّى العلم أمسك.

- والثّاني: أنّه قد حولف به طريق الصّحابة والتّابعين.

ويكفي هذا نقصاً.

¹ سورة الأعراف (7)، الآية 143.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا هبة الله بن عبد الرزاق السني وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي ارستمي قالاً: نا أبو الحسين بن بشران نا أبو علي إسماعيل بن محمد الصقار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينة قال: سمعتُ خلف بن حوشب يقول: كان خوات يرعد عند الذكر، فقال له إبراهيم: إن كنت تملكه، فلا أبالي أن لا أعتد بك؛ وإن كنت لا تملكه، فقد خالفت من كان قبلك -وفي رواية: فقد خالفت من هو خير منك-.

قال المصنف -رحمه الله-: قلت: إبراهيم هو النخعي الفقيه، وكان متمسكاً بالسنة شديداً الاتباع للأثر.

وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع، وهذا خطاب إبراهيم له، فكيف بمن لا يخفى حاله في التصنع!؟

فصل

فإذا طرب أهل التصوف صفتوا

فإذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء، صفتوا.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعتُ أبا سليمان المغربي يقول: سمعتُ أبا علي بن الكاتب يقول: كان ابن بنان يتواجد، وكان أبو سعيد الخزاز يصفق له.

قال المصنف -رحمه الله-: قلت: والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبهه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية، وهي التي ذمهم الله -عز وجل- بها، فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾¹، فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

¹ سورة الأنفال (8)، الآية 35.

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو علي بن شاذان نا أحمد بن كامل ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس: الامكاء يعني التصفير وتصديّة يقول التصفيق. قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وفيه أيضًا تشبّه بالتساء. والعامل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والتسوة.

فصل

فإذا قوي طريهم رقصوا

فإذا قوي طريهم، رقصوا.

وقد احتج بعضهم بقوله -تعالى- لأَيُّوب: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾¹.

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: وهذا الاحتجاج باردٌ، لأنّه لو كان أمر بضرب الرّجل فرحًا، كان لهم فيه شبهة؛ وإمّا أمر بضرب الرّجل، لينع الماء. قال ابن عقيل: أين الدّلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينع الماء إعجازًا من الرقص؟! ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكّم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام، جاز أن يجعل قوله -تعالى- لموسى: ﴿أضرب بعصاك الحجر﴾² دلالة على ضرب الجماد بالقضبان.

نعوذ بالله من التلاعب بالشرع!

واحتج بعض ناصريهم بأنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- قال لعليّ: "أنت مّي وأنا منك"، فحجل؛ وقال لجعفر: "أشبهت خلقي وخلّقي"، فحجل؛ وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا"، فحجل.

ومنهم من احتج بأنّ الحبشة زفت، والنبيّ -صلى الله عليه وسلّم- ينظر إليهم.

¹ سورة ص (38)، الآية 42.

² سورة البقرة (2)، الآية 60.

فالجواب: أمّا الحجل، فهو نوع من المشي يُفعل عند الفرح، فأين هو من الرقص؟! وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يُفعل عند اللقاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد بن منصور الهمداني نا اسماعيل بن أحمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح أحمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا: ثنا أبو عبد الرحمن السلمي ثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيقي ثنا عبد الله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن علي بن منصور ثنا أبو عتاب المصري عن ابراهيم بن محمد الشافعي أنّ سعيد بن المسيب مرّ في بعض أزقة مكة، فسمع الأخصر الحذاء يتغنى في دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب في نسوة عطرات
فلما رأّت ركب النميري أعرضت وهنّ من أن يلقينه حذرات

قال: فضرب برجله الأرض زماناً، وقال: هذا ممّا يلدّ سماعه.

وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب.

قال المصنّف [-رحمه الله-]: قلت: هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصحّ عن ابن المسيب، ولا هذا شعره. كان ابن المسيب أوقر من هذا. وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله بن نمير التميمي الشاعر، ولم يكن نمرئياً، وإنما نُسب إلى اسم جدّه، وهو ثقفيّ، وزينب التي يشبّب بها هي ابنة يوسف أخت الحجاج.

وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان؟ فقال: كانت أحمرّة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف، فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه.

قال المصنّف -رحمه الله-: ثمّ لو قدرنا أنّ ابن المسيب ضرب برجله الأرض، فليس في ذلك حجة على جواز الرقص، فإنّ الإنسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقّها بيده لشيء يسمعه، ولا يسمّى ذلك رقصاً، فما أقبح هذا التعلّق!

وأين ضرب الأرض بالقدم مرّة أو مرّتين من رقصهم الذي يخرجون به عن سمّت

العقلاء!؟

ثمّ دعونا من الاحتجاج، تعالوا نتقاضى إلى العقول: أيّ معنى في الرقص إلاّ اللّعب الذي يليق بالأطفال؟! وما الذي فيه من تحريك القلوب الى الآخرة؟! هذه والله مكبر باردة!

ولقد حدّثني بعض المشائخ عن الغزالي أنّه قال: الرّقص حماقة بين الكنفين لا تنول إلاّ بالتعب.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: قد نصّ القرآن على التّهي عن الرقص فقال -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾¹ وذمّ المختال، فقال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾².

والرقص أشدّ المرح والبطر، أوّ لسنا الذين قسنا التّبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسّكر، فما بالنّا لا نقيس القضيبي وتلحين الشّعر معه على الطّنبور والمزمار والطّبّل، لاجتماعهما في الإطراب؟! وهل شيء يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص؟! فكيف إذا كانت شبيبة ترقص وتصفّق على وقاع الألحان والقضبان، خصوصًا إذا كانت أصوات نسوان ومزّدان؟! وهل يحسن بمن بين يديه الموت السّؤال والحشر والصّراط، ثمّ هو إلى إحدى الدّارين صائرٌ أن يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفّق تصفيق النّسوة؟! والله لقد رأيتُ مشائخ في عصري ما بان لهم سنّ في تبسّم، فضلًا عن ضحك، مع إدّمان مخالطتي لهم، كالشيخ أبي القاسم بن زيدان، وعبد الملك بن بشران، وأبي طاهر بن العلاف، والجنيد، والدّينوري.

فصل

¹ سورة الإسراء (17)، الآية 37.

² سورة لقمان (2)، الآية 31.

فإذا تمكّن الطّرب من الصّوفيّة في رجال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه ولا يجوز على مذهبه للمجذوب أن يقعد فإذا قام قام الباكون تبعًا له فإذا كشف أحدهم رأسه كشف الباكون رؤوسهم موافقة له ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب وإتّما يقع في المناسك تعبّدًا لله وذلك له.

فصل

فإذا اشتدّ طربهم رموا ثيابهم على المغني فمنهم من يرمي بها صحاحا ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء في غيبة فلان يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع.

والجواب: أن نقول: من يصحّح عن موسى بأنّه رماها رمي الكاسر؟ والذي ذكر في القرآن إلقاءها فحسب، فمن أين لنا أنّها تكسّرت؟! ثمّ لو قيل: تكسّرت، فمن أين لنا أنّه قصد كسرها؟! ثمّ لو صحّحنا ذلك عنه، قلنا: كان في غيبة، حتّى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار، لخاضه؛ ومن يصحّح لهؤلاء غيبتهم، وهم يعرفون المغني من غيره، ويحذرون من بئر إن كانت عندهم؟!!

ثمّ كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السّفهاء؟! ولقد رأيت شابًّا من الصّوفيّة يمشي في الأسواق ويصيح، والغلمان يمشون خلفه، وهو يزرّو ويخرج إلى الجمعة، فيصيح صيحات، وهو يصلّي الجمعة، فسئل عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائبًا، فقد بطل وضوءه؛ وإن كان حاضرًا، فهو متصنّع. وكان هذا الرّجل جلدًا لا يعمل شيئًا، بل يُدار له بزنبيل في كلّ يوم، فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه.

فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين.

ثم لو قدرنا أن القوم يصبحون عن غيبة، فإنّ تعرّضهم لما يغطّي على العقول من سماع ما يطرب منهّي عنه، كالتعرّض لكلّ ما غلبه الأذى.

وقد سُئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم، فقال: خطأ وحرام، وقد نهى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن إضاعة المال وعن شقّ الجيوب، فقال له قائل: فإنّهم لا يعقلون ما يفعلون، قال: إن حضروا هذه الأمكنة، مع علمهم أنّ الطرب يغلب عليهم، فيزيل عقولهم، أمثوا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره ممّا يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع، لأنّهم مُحاطَبون قبل الحضور بتجنّب هذه المواضع التي تُفضي إلى ذلك، كما هم منهّيون عن شرب المسكر؛ فإذا سكرُوا، وجرى منهم إفساد الأموال، لم يسقط الخطاب لسكرهم، كذلك هذا الطرب الذي يسمّيه أهل التّصوّف وجُدًا، إن صدقوا فيه، فسكر طبع، وإن كذبوا فنبذوا؛ ومع الصّحوة، فلا سلامة فيه مع الحالين، وتجنّب مواضع الرّيب واجب.

واحتجّ لهم ابن طاهر في تريفهم الثياب بحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: نصبت حجلة لي فيها رقم، فمدّها النّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فشقّها.

قال المصنّف -رحمه الله-: فانظر إلى فقه هذا الرّجل المسكين، كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها، وقد نهى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن إضاعة المال على مدّ ستر ليحطّ، فانشقّ لا عن قصد أو كان عن قصد، لأجل الصّور التي كانت فيه؟!!

وهذا من التّشديد في حقّ الشّارع عن المنهيات، كما أمر بكسر الدنان في الخمر.

فإن ادّعى مخرق ثيابه أنّه غائب، قلنا: الشّيطان غيّبك، لأنّك لو كنت مع الحقّ لحفظك، فإنّ الحقّ لا يفسد.

وقد أخبرنا محمّد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحاف ثنا محمّد بن علي بن حشيش ثنا عبد الله بن الصّقر ثنا الصّلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال:

سمعتُ أبا عمران الجوني يقول: وعظ موسى بن عمران -عليه السلام- يوماً، فشقَّ رجلٌ منهم قميصه، فأوحى الله -عزَّ وجلَّ- لموسى: قل لصاحب القميص لا يشقَّ قميصه أيشرح لي عن قلبه.

فصل

وقد تكلم مشائخ الصوفيَّة في الخرق المرميَّة، فقال محمد بن طاهر: الدليل على أنَّ الخُرقة إذا طرحت صارت ملكاً لمن طرحت بسببه: حديث جرير: جاء قومٌ مجتاي التمار، فحضَّ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الصدقة، فجاء رجلٌ من الأنصار بصرة، فتتابع الناس حتى رأيتُ كومتين من ثياب وطعام.

قال: والدليل على أنَّ الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخُرقة أسهم لهم: حديث أبي موسى: "أقدم على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بغنيمة وسلب، فأسهم لنا".

قال المصنّف -رحمه الله-: لقد تلاعب هذا الرجل بالشرعة، واستخرج بسوء فهمه ما يظنّه يوافق مذهب المتأخّرين من الصوفيَّة، فإذا ما عرفنا هذا في أوائلهم.

وبيان فساد استخراجِه: أنَّ هذا الذي حرق الثوب ورمى به، إن كان حاضرًا، فما جاز له تحريقه؛ وإن كان غائبًا، فليس له تصرّف جائز شرعًا لا هبة ولا تمليكًا. وكذلك يزعمون بأنّ ثوبه كان كالشيء الذي يقع من الإنسان ولا يدري به، فلا يجوز لأحد أن يملكه؛ وإن كان رماه في حال حضوره لا على أحد، فلا وجه لتملكه؛ ولو رماه على المغني، لم يملكه، لأنّ التملك يكون إلّا بعقد شرعيّ، والرمي ليس بعقد، ثمّ نقدر أنّه ملك للمغني، فما وجه تصرّف الباقيين فيه؟

ثمّ إذا أنصرفوا فيه، خرّقه خرّقا؛ وذلك لا يجوز لوجهين:

- أحدهما: أنّه تصرّف فيما لا يملكونه.

- والثاني: أنّه إضاعة للمال.

ثمّ ما وجه أسهام من لم يحضر؟

فأما حديث أبي موسى، فقال العلماء منهم: الخطابي يحتمل أن يكون رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أجازته عن رضى مَنْ شهد الواقعة أو من الخمس الذي هو حقّه. وعلى مذهب الصّوّفيّة تُعطى هذه الخرقَة لمن جاء، وهذا مذهبٌ خارج عن إجماع المسلمين؛ وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلّا بما وضعت الجاهليّة من أحكام البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

قال ابن طاهر: أجمع مشائخنا على أنّ الخرقَة المخرقَة، وما انبعث من الخرق الصّحاح الموافقة لها، أنّ ذلك كلّه يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشائخ، واحتجّوا بقول عمر -رضي الله عنه-: الغنيمة لمن شهد الواقعة.

وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الأنصاري، فجعل الخرقَة على ضربين: ما كان مجروحًا، فُسّم على الجميع؛ وما كان سليمًا، دُفع إلى القوّال. واحتجّ بحديث سلمة من قتل الرّجل قالوا: سلمة بن الأكوع قال: له سلبه أجمع، فاقتل إنّما وجد من جهة القوّال، فالسلب له.

قال المصنّف -رحمه الله-: أنظروا إخواني -عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس- إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشرّعة وإجماع مشائخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعزّة، فإنّ مشائخ الفقهاء أجمعوا على أنّ الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقًا أو سليمًا، ولا يجوز لغيره التّصرّف فيه.

ثمّ إنّ سلب القتيل كلّ ما عليه، فما بالهم جعلوه ما رمي به؛ ثمّ ينبغي أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصاري، لأنّ المجروح من الثّياب ما كان بسبب الوجد، فينبغي أن يكون المجروح المغني دون الصّحيح. وكلّ أقوالهم في هذا محالٌ وهذيانٌ.

وقد حكى لي أبو عبد الله التكريتي الصوفي عن أبي الفتوح الإسفرائيني¹، وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن، وقد حضر في جمع كثير في رباط، وهناك المخاد والقضبان ودفّ بجلاجل، فقام يرقص حتى وقعت عمامته، فبقي مكشوف الرأس.

قال التكريتي: إنّه رقص يوماً في خفّ له؛ ثمّ ذكر أنّ الرقص في الخفّ خطأ عند القوم، فانفرد وخلعه؛ ثمّ نزع مطرفاً كان عليه، فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية، فأقتسموه حرقاً.

قال ابن طاهر: والدليل على أنّ الذي يطرح الخرق لا يجوز أن يشتريها من الجمع: حديث عمر: "لا تعودنّ في صدقتك".

قال المصنّف: انظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معاني الأحاديث! فإنّ الخرقه المطروحة باقية على ملك صاحبها، فلا يحتاج إلى أن يشتريها.

فصل

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة حرقاً وتفريقها، فقد بيّنا أنّه، إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغني، لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه إياه؛ فإذا ملكه إياه، فما وجه تصرّف الغير فيه؟

¹ وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائيني، الملقّب بركن الدّين، الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي. ذكره الحاكم أبو عبد الله، وقال: أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، وأقرّ له بالعلم أهل العراق وخراسان، له تصانيف كثيرة، منها: كتابه الذي سمّاه جامع الحلّي في أصول الدّين والرّد على الملحدين، وغير ذلك من المصنّفات. وأخذ عنه القاضي أبو الطيّب الطّبري أصول الفقه بإسفرين، وبنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور. واختلف إلى مجلسه أبو القاسم القشيري، وأكثر الحفاظ أبو بكر البيهقي الرّواية عنه في تصانيفه وغيره من المصنّفين. وسمع بخراسان أبا بكر الإسماعيلي، وبالعراق أبا محمّد دعلج بن أحمد السّجزي وأقرّاهما. توفّي الأستاذ الإسفرائيني بنيسابور يوم عاشوراء سنة 418، ثمّ نقلوه إلى إسفرين، ودفن في مشهده.

حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج 1/ص 28؛ طبقات السبكي، ج 3/ص 111.

ولقد شهدتُ بعض فقهاءهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول: هذه الخرق ينتفع بها،
وليس هذا بتفريط؛ فقلتُ: وهل التفريط إلا هذا؟!
ورأيتُ شيخاً آخر منهم يقول: خرقْتُ خرقاً في بلدنا، فأصاب رجلٌ منها خريقة،
فعملها كفنّاً، فباعه بخمسة دنانير، فقلتُ له: إنَّ الشَّرع لا يجيز هذه الرِّعونات لمثل هذه
التَّوارد.

وأعجب من هذين الرَّجلين: أبو حامد الطوسي، فإنَّه قال: يباح لهم تمزيق الثياب
إذا خرقت قطعاً مربّعة تصلح لتزيق الثياب والسَّجادات، فإنَّ الثَّوب يمزق حتَّى يُخاط منه
قميصٌ، ولا يكون ذلك تضييعاً.

ولقد عجبْتُ من هذا الرَّجل: كيف سلبه حبُّ مذهب التَّصوِّف عن أصول
الفقه ومذهب الشَّافعي، فنظر إلى انتفاع خاص؟! ثمَّ ما معنى قوله: مربّعة، فإنَّ المطاولة
يُنتفع بها أيضاً؟! ثمَّ لو مزق الثَّوب قرامل¹، لانتفع بها؛ ولو كسر السَّيف نصفين، لانتفع
بالتَّصف؛ غير أنَّ الشَّرع يتلَمَّح الفوائد العامّة، ويسمّي ما نقص منه للانتفاع: إتلافاً.
ولهذا يُنهي عن كسر الدرهم الصَّحيح، لأنَّه يذهب منه قيمه بالإضافة إلى
المكسور.

وليس العجب من تلبس إبليس على الجهال منهم، بل على الفقهاء الذين
اختاروا بدع الصَّوفيّة على حكم أبي حنيفة، والشَّافعي، ومالك، وأحمد -رضوان الله
عليهم أجمعين-.

فصل

ولقد أغربوا فيما ابتدعوا، وأقام لهم الأعداء من إلى هواهم مال.
ولقد ذكر محمّد بن طاهر في كتابه باب السَّنة في أخذ شيء من المستغفر، واحتجّ
بحديث كعب بن مالك: "في توبته يجزئك التَّلت".

¹ القرامل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها.

ثم قال: باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة، فلم يؤدّها، ألزموه أكثر منها. واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال في الزكاة: "من منعها، فأنا آخذها وشطر ماله".

قال المصنّف -رحمه الله-: قلت: فأنظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه: غرامة، وتسمية ذلك: واجباً؛ وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع؛ ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً، كفر. ومن مذهبهم: الرؤوس عند الاستغفار؛ وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار؛ ولولا ورود الشرع بكشفه في الإحرام، ما كان له وجه.

وأما حديث كعب بن مالك، فإنه قال: إن من توبتي: أن الخلع من مالي، فقال له رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يجزئك الثلث"، لا على سبيل الإلزام له، وإنما تبرع بذلك، فأخذه منه.

وأين إلزام الشرع تارك الزكاة؟! فما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المرید غرامة لا تجب عليه؛ فإذا امتنع، ضاعفوها. وليس إليهم الإلزام، إنما ينفرد بالالإلزام الشرع وحده. وهذا كله جهلٌ وتلاعبٌ بالشرعية، فهؤلاء الخوارج عليها حقاً.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة مصادر ومراجع التّحقيق

	--	-
		.1958 .
.2		-
		-
		-
.1945 .	.188)	75 (
		-
	.1967 .	
) (-
.1347 .		-
.1971 .		-
		-
		-
		1369 - 1366
		-
.1955 .		-

(. -
)

.1926 .

. 1327 .

(. -
)

.1960 .

.1961 .

- -

.1962 .

)245 /4 (

1306

.2

.1962 - 1959 .

	(. 14 .	-
)	
	.2 .	-
	.	-
	.	-
	.	-
	.	-
	.	.1903
	.	-
-1967 .	.	-
	.	.1968
(. 1283 .	.	-
	.)2 .	
	.	-
	.	-
	.	15 *
	.	.
	1326 .	11 *
	.	-
	.1981 .	
	.	-
	.1983 .	

.1927-

.1981-

.1973-

.1982-

.1981-

13601364-

.3-

.1955-

(.1285)

.
 .
 .1955 .
 (6-5) (-
 .)
) (-
 .198 173
 -
 .
 .1
 .105 /3
 .) (-
 .16 1
)105 /3 (-
 .
 .2 1
 -

			-
		1349-	1329 .
	12 .		-
		1327-	1325 .
		- -	
			-
			-
		1373 -	1371 .
			-
	.1962 .		
			-
		1332 .	
		- -	
			-
	.1968- 1967 .		
			-
			-
			.1938

				-
	1351 .			-
				-
			.1948 .	-
				-
. 1906 - .	1324 .	.7 .) (-	-
				-
				-
			(-
	1270 .		.)	-
				-
				-
				-
.1961 .				-
.1951 .				-
				-
			. 1351 .	-

.) (.1947 .
 .1909 . .
 .1970 .
 .1966
 .4 *
) (-
 . 1367 . -
) (-

	-	-	-
			-
	.1936 .		-
			-
	-	-	-
			-
		1351-	1350 .
		.1	-
	. 1340 .	.)	(
		(.	-
			.)
			-
	.1959 .		*
			.2 *
			-
			.1964
			-
	-	-	-
			-
			. 1355

		-
		.1963
		-
		-
-1957		*
		.1958
.1940-1904		*
	(-
	1299	.)
		-
	.1961	-
		-
	.1839	*
	.1960	*
		-
	.1954	
	- -	
		-
	.1966-1960	
)	(-
	1284	

		-
	.1969- 1959 .	
	.1956 .	-
		-
		-
		-
	.1963 .	
		-
		*
		*
	.1956 .	*
	(.) (.	-
	.)1121 :	2922/21:
		-
	.1869 .	
	- -	
		-
	.1959 .	-
		-

	- - -	-
		-
		.1971- 1968
		-
		*
		*
.1931 .		-
		-
	(-
	. 1347 .	.)
		-
	.1964 .	
		-
		-
.1956 .		*
		*
	.1	-
	- - -	
		-
	- - -	

			-
		.1964 .	-
			-
	.1951 .		-
			-
			-
			-
		.1339 - 1337	-
			-
	.1955 .		-
			-
	.1958 .		-
			-
			.1960
			-
			-
	.1947 .		-
-1936 .	20 .		-
			.1938

					-
				.1957- 1955 .	
					-
					.1960
					-
				.8	-
			.2		-
.586	/6				-
					-
					.1949
					-
					*
		.1963 .			*
					-
				.1962- 1957 .	
					-
) (-
					-
					.1961

1347 .)	(.	
			-
			-
.1945 .			-
			-
		.1357 .	-
			-
		.1981 .	-
			-
.1956 .			-
) (-	
	.1961) (-	
		.1	-
)574 /3 (-
			-
440			-
		.444	
.1965 .			-

	.1963 .	-
	- -	
13		-
		-
	.1959 .	-
		-
	.194 /1	-
		-
	.1964 .	-
	- -	
	.7 4 1 .	-
		-
	.1959- 1931 .	-
		-
	.1938 .	-

.1

.1908 .

1377- . 1375 .

محتويات الجزء الثاني من كتاب
تلييس إبليس
لأبي الفرج ابن الجوزي

محتويات الجزء الثاني من
كتاب تليس إبليس
لأبي الفرج ابن الجوزي

	كتاب
- 5	328
- 7	40
- 9	12
- 13	18
- 19	20
- 21	26

- 27

30

29

29

29

34 - 31

32 - 31

33 - 32

- 35

36

40 - 37

38 - 37

39 - 38

39

46 - 41

288 - 47

- 49

50

- 51

52

- 53

54

- 55

56

- 57

64

58

59 - 58

59

60

61 - 60

62 - 61

62

62

62

63

66 - 65

- 67

68

- 69

68

70

- 70 69
74
72
73 - 72
- 75 78
76 - 75
76
77 - 76
96 - 79
82
82
83

- 83		87
87		
- 87		88
88		
- 88		89
89		
89		
- 89		90
90		
- 90		91
- 91		92
- 92		95
- 97	...	72

101 - 99

106 - 101

107 - 106

108 - 107

109 - 108

111

116 -

117

118 -

119

120 -

121

122 -

123

136 -

125

129 -

130

132 – 131

133 – 132

134 – 133

135 – 134

135

162 – 137

140 – 138

141 – 140

142 – 141

142

144 - 143

145 - 144

150 - 145

152 - 150

153 - 152

156 - 153

156

159 - 156

159

160 - 159

161 - 160

163

164 -

165

182 -

169

169

174 -

174

176 - 174

178 - 176

178

180 -

180

"

"

181 -

182 - 181

183

220 -

188 - 184

189 - 188

190 - 189

191

193 - 192

194 - 193

194

203 -

302

215 - 203

216 - 215

217 - 216

218 - 217

219 - 218

238 - 220

228 - 226

229 - 228

:

229

:

232 -

230

234 - 232

236 - 234

237 - 236

238 - 237

239

256 -

257

266 -

- 2 - 2 - 3 - :

+216 71886914 :

+216 71886872 :

JomaaAssaad@yahoo.fr :

9938-02 :

978-9938-02-014-4 :

1000

©

